أنماط المفارقة

في شعر أحمد مطر

دراسة نظرية تطبيقيه

د/ عبد الحميد هنـــداوي

مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي البحث

فن المفارقة من الفنون التي يختلف الدارسون حول جذوره التاريخية في تراثنا البلاغي، فيرى البعض أنه امتداد لما عرفه البلاغيون قديما من بعض صور المفارقات وأساليبها التي وقفوا عليها كالطباق والمقابلة ونحوهما.

ويرى البعض أن فن المفارقة بمفهومه الحديث يختلف اختلافا تاما عما وقف عليه البلاغيون قديما من هذه الأنواع البديعية المتشابهة مع فن المفارقة.

ويحاول البحث أن يدلي بدلوه في هذه القضية محاولا الإفادة ما أمكن من محاولات الأقدمين في الوقوف على بعض صور هذا الفن وأنماطه.

ثم يتسع أفق البحث بعد ذلك غير متقيد بما انتهى إليه القدماء من صور هذا الفن لينطلق في دراسة واسعة تستجلى العديد من صور هذا الفن وأنماطه في الشعر العربي المعاصر من خلال دراسة لأحد الشعراء المعاصرين الذين برعوا في توظيف هذا

الفن، والتفنن فيه بعرضه في صور وأنماط وتشكيلات فنية متعددة تزيح الملل والرتابة التي تتسرب إلى القارئ من تكرر النمط الواحد.

وقد ألح الشاعر مطر على فن المفارقة واعتمد عليه اعتمادا أساسيا في معظم قصائده لأنه قد وجد فيه بغيته وضالته المنشودة، حيث وجده خير وسيلة تساعده على إبراز صور التناقض في كشفه لواقع الفساد الذي تعيشه بلاده.

ونجح مطر إلى حد كبير في جذب انتباه القارئ، بل إغراقه في تجربته الشعرية في دواوينه الستة (لافتات) دون أن يمل تكرر هذا الأسلوب الواحد لأنه قد عمل على تجديد صور عرض هذا الفن وأنماطه بصورة دائمة في تلك اللافتات.

وقد قام البحث بمحاولة رصد هذه الصور، وتلك الأنماط والتنظير لها، ثم إعادة تحليل قصائد لافتات مطر في ضوء تلك الأنماط التي وقف عليها البحث من خلال دراسة متأنية لتلك الدواوين.

وقد كشف البحث عن مدى نجاح الشاعر في توظيف فن المفارقة في توصيل رسالته التي يؤمن بها، تلك الرسالة التي تتمثل في

توعية الشعوب وتبصيرها بما حولها من صور الزيـــف والخـــداع والنفاق في واقع الفساد.

كما كشف البحث كذلك عن مدى نجـــاح الشـــاعر في خلقه لصور وأنماط فنية جديدة لفن المفارقة-لاشك أن كشـــفها وبيان مدى فاعليتها في إثراء التجربة الشعرية-سوف يثري الشـعر العربي المعاصر ونقده، كما يؤدي إلى إرهاف الـــذوق والحـــس الأدبي بعامة في واقعنا المعاصر.

والمأمول أن يوفق البحث لتحقيق تلـــك الأهـــداف، وأن يكون إضاءة لدراسات تالية تستجلي صور هذا الفن وتطبيقاته في الشعر العربي بعامة؛ قديمه وحديثه.

والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل

د/عبد الحميد هنداوي

الجيزة ١٥/٨/٢٠٠٠

المفارقات في شعر أحمد مطر

مفهوم المفارقة :

المفارقة لغة : هي المباينة ، يقال : فرق الشيء مفارقة وفراقا : باينه ، والاسم : الفرق ، وتفارق القوم : فارق بعضهم بعضا[1]

فالمفارقة من حيث دلالتها المعجمية، هي مفاعلة من فرق، والمفاعلة تدل غالبا على الاشتراك في الفعل ، ومن ثم فهي افتراق وتباعد من جهتين متضادتين كأن كل جهة تمعن في التباعد عن الأخرى .

ومن ثم يبدو التباعد والافتراق بين المثال والواقع بين الحق والباطل ، بين العلم والجهل ، بين المعقول واللامعقول ..إلخ .

المفارقة اصطلاحا:

ومن ثم يمكننا أن نعرف المفارقة اصطلاحا بأنها "فن إبراز التناقص بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض"[2]

---

(١) انظر اللسان : مادة فرق .

فالمفارقة تبرز التناقض والتضاد الذي يشمل كثيرا من ظواهر الحياة والمجتمع ، وسلوك الناس ومواقفهم لتصور لنا طبيعة العلاقة العكسية بين طرفين متناقضين، ولكن بينهما تفاعل دائب.

ومن خلال تفاعل تلك الثنائيات قد نري العبث في الحقيقة ، والجد في الهزل ،والمعقول في اللامعقول ، والوضاعة في العظمة والعظمة، في الوضاعة، والحلو في المر، والسعادة في الشقاء، والشقاء في السعادة ،والمقبول في غير المقبول ، وقد نري جهل العالم ، وعلم الجاهل ، وانخداع الماكر إلى جانب مظاهر النفاق والخداع والرياء والمداهنة ، وفي أوجه التناقض بين المقدمات والنتائج ، وبين أطراف التجربة الإنسانية ومفرداتها ؛ بحيث نشعر من خلالها بزيف معطيات تلك التجربة شعورا مقترنا بالإحباط والتبلد .[٣]

---

(٢) انظر تعريف د/ على عشري زايد للمفارقة التصويرية ، ولا يكاد يختلف تعريف باقي أنماط المفارقة عن ذلك النوع .

(٣) د/ حسني عبد الجليل / المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي / ط الدار الثقافية صـ ١٣

المفارقة وجذورها التراثية

يري بعض الباحثين أن فن المفارقة فن بلاغي لم يعرفه بلغاء العرب على هذا النحو من التحديد الحديث له ، وإن كانوا قد أحسوا بخصوصية الكلام الذي يراوغ ، ويهرب من تحديد المعنى ، أو يقول شيئا آخر ، ومن هنا كان كلامهم عن التهكم والسخرية ، ولطائف القول ، والمدح بما يشبه الذم ،إلى غير ذلك من الفنون البيانية التي تقوم على التلاعب باللغة على نحو خاص .

ولكن لما كان حس المفارقة حسا أصيلا في الإنسان — فإنه لا يخلو عصر من العصور ، أو أدب من الآداب — ولو بدرجات متفاوتة من التعبير بالمفارقة ، ولهذا فربما كان من المفيد لتراثنا الأدبي والبلاغي أن نضيف إليه هذا الفن ، والمهم أولا وأخيرا أن يصبح مفهوم "المفارقة" محدد الأبعاد بدرجة من الوضوح تجعله آلية صالحة من آليات تحليل النص الأدبي (٤)

ويرى أستاذنا الدكتور على عشري أنه على الرغم من أن شعرنا القديم قد عرف صورا من المفارقة التصويرية وفطن إلى الدور

(٤) د/ نبيلة إبراهيم– المفارقة /١٤٠– مقال، فصول، أبريل (١٩٨٧م).

الذي تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في تجلية معنى كل منهما في أكمل صورة فإن النقد العربي والبلاغة العربية كليهما لم يهتما بهذا التكنيك الفني ، وإن كانت البلاغة قد عنيت بلون من التصوير البديعي القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت اسم الطباق في صورته البسيطة والمقابلة في صورته المركبة ولكن " المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ..والتناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل ، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في واقعة الاختلاف" (٥)

ونحن إذ نوافق أستاذنا في أن المفارقة التصويرية تكنيك مختلف تماما عن الطباق والمقابلة ، فإننا نري أن بعض أنماط المفارقة قد تتفق مع الطباق أو المقابلة ، كما أن بعض صور الطباق أو المقابلة يمكن أن نسميها مفارقة بمفهومها الحديث .

ومن ثم فليس كل مفارقة طباقا أو مقابلة ، وليس كل مطابقة أو مقابلة مفارقة "فالطباق والمقابلة والتركيب المعكوس أكثر الظواهر اتصالا بالمفارقة في التشكيل الشعري ، ولكن هناك أدوات تعبيرية

---

(٥) د/ علي عشري ــ عن بناء القصيدة ص١٣٥ .

كثيرة تدخل في صميم البناء الشعري ، والتي من خلالها تظـــهر المفارقات الشعرية .

ونحن نستخدم مصطلح المفارقة الشعرية موازيا لمصطلـح الموقف الشعري، والرؤية الشعرية، والتجربة الشعرية؛ لأن المفارقة في الشعر تكتسب كل خصائص الشـــعر الإيقاعيـــة واللغويـــة والتصويرية ،ومن ثم تكتسب صفة الشعرية ، وتتميز عن المفارقـــة في أي نوع أدبي آخر بما اكتسبته من تلك الخصائص ؛ومن ثم فإن شعرية الخطاب الشعري تجعل ما يتضمنه من رؤى ومواقف هـــي رؤى ومواقف شعرية في المقام الأول ".[٦]

والذي نميل إليه أن تراثنا البلاغي لا سيما التطبيقي قـــد عرف المفارقة بمعناها الحديث كإبراز لجانبين متضادين ،وإن نظـرة سريعة منا على أمثلة الطباق أو المقابلة عند البلاغيـــين القدامـــى لتؤكد لنا أنهم قد وقفوا على ذلك النوع مـــن المفارقـــة وإن لم يسموه بالمفارقة ،فلا مشاحة في الاصطلاح، وإنما الذي يعنينا هـو إدراكهم لهذا الفن الذي يبرز التناقض والتضاد في طرفين متقابلين.

(٦) د/ حسني عبد الجليل / المفارقة في شعر عدي بن زيد صـــ ٢١

ولننظر على سبيل المثال في بعض أمثلة الطباق عند الطيبي ت سنة٧٤٣ هـ حيث يذكر من أمثلتها : قوله تعالى "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء"(٧) وقوله- ﷺ - للأنصار " إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع"(٨)

وقول – على – لعثمان (رضي الله عنهما) " إن الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء، وأنت رجل إن صدقت سخطت، وإن كذبت رضيت"(٩)

كذلك يذكر في أمثلة المقابلة قوله تعالى " فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى "(١٠)

وقال – ﷺ " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا الخرق في شيء إلا شانه "(١١)

---

(٧) سورة آل عمران ٣/ ٢٦

(٨) الحديث في كنز العمال ٤/ ٨٩ .

(٩) الطيبي / علم البديع بتحقيقي / ط المكتبة التجارية بمكة صـ ٣٩٣

(١٠) سوره الليل ٩٢/٥- ١٠

وقال الشاعر:

يفر جبان القوم من ابن أمه

ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

ويرزق معروف الكريم عدوه

ويحرم معروف البخيل أقاربه[١٢]

فالمقام الأول من أمثلة الطباق ، وهو الآية الكريمة بيان لسنة الكون وناموسه الذي خلقه الله تعالى مشتملا على تلك المفارقات التي تدل على قدرته المتناهية سبحانه وتعالى في الإيجاد والإعدام ، والإعطاء والمنع ، والإعزاز والإذلال ..إلخ مما يدل على شمول قدرته وإحاطتها بكل شيء وعلى أن المفارقة سنة كونية ثابتة شاملة لجميع مظاهر الكون .

كذلك فإن قول النبي ﷺ للأنصار " إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع " إنما هو مفارقة بين صورتين متقابلتين للأنصار تكشفان عن مدى زهدهم وإخلاصهم لله تعالى، وتعففهم

---

(١١) انظر علم البديع السابق صـ ٣٩٧ ،والحديث أخرجه مسلم عن عائشة في البر والصلة ٤/ ٢٠٠٤ وأبو داود ٣/٣ وأحمد ٦/ ٥٨ ، ١١٢.

(١٢) الطيبي السابق .

عن متاع الحياة الدنيا، ومن ثم تأتي هذه المفارقة العجيبة بين حال كثرتهم عند الحرب والجهاد ومواطن البأس ، وقلتهم وانعدامهم عند مواطن الغنيمة ، فهما حالتان متقابلتان من حيث اللفظ والصورة متفقتان من حيث المعنى والحقيقة .

وكذلك نلمح المفارقة الواضحة بين الحق والباطل في قول على رضي الله عنه .

أما أمثلة المقابلة فلعلها أوضح وأقرب شبها بالمفارقة حيث يتجاوز السياق الجمع بين لفظ وضده إلى الجمع بين صورتين متقابلتين تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما(١٣)

فعلى سبيل المثال في الآية المذكورة في أولى أمثلة المقابلة تظهر المفارقة واضحة بين الخير والشر، بين المؤمن المنفق المتصدق، وبين الكافر البخيل المكذب .

وكذلك في المثال الثاني : يفر جبان القوم ..إلخ فهو مفارقة بين حالي كل من الجبان والشجاع ، والكريم والبخيل.

---

(١٣) انظر تعريف الطيبي وغيره للمقابلة-التبيان-الجزء الثاني ص٢٩٧ بتحقيقي .

وهذا كله يؤكد لنا أن كثيرا مما ذكره البلاغيون ضمن أمثلة الطباق والمقابلة يصدق عليه أنه من نوع المفارقة بمفهومها الحديث مما يدل على وقوفهم على تلك الظاهرة ووعيهم بها ، ولكننا مع ذلك نقرر أن الطباق والمقابلة ليسا متطابقين تماما مع أسلوب المفارقة ؛ وذلك لأن أمثلة أخرى كثيرة مما ذكرها البلاغيون تحت هذين النوعين لا ينطبقان على المفارقة اللفظية على ما اصطلحنا عليه في هذا البحث وبينا أمثلته في حينه ، كما أن بعض أنماط المفارقة قد لا يدخل في أي صورة من صور الطباق والمقابلة التي ذكرها البلاغيون في تراثنا البلاغي .

ولذلك فإننا نعود فنقرر أنه ليس كل طباق أو مقابلة مفارقة ، كما أنه ليس كل مفارقة طباقا أو مقابلة . (١٤)

المفارقات في شعر أحمد مطر

الوسيلة والغاية

من أهم السمات التي يتميز بها شعر الشاعر أحمد مطر اتخاذه الشعر رسالة سامية يكشف بها واقع الفساد بكافة صوره

---

(١٤) انظر في تجلية الفرق بين المفارقة والطباق والمقابلة ماذكرناه من الأمثلة في النوع الأول من أنماط المفارقة.

وأشكاله في جرأة شديدة قد تخرج في كثير من الأحيان إلى حد النقد اللاذع بأقذع الألفاظ وأكثرها إفصاحا.

ونحن وإن كنا لا نتفق معه في اعتماد هذه الطريقة كطريقة للنقد والتوجيه والإصلاح السياسي ، فإننا نرى فيه شاعرا مجيدا لديه قدرة هائلة في توظيف الوسائل والفنون التعبيرية لخدمة قضيته التي نذر لها حياته ، وهي هتك أستار الفساد ، وكشف حجبه وإماطة اللثام عن وجهه القبيح.

ومن خلال دراسة متأنية لشعر هذا الشاعر من خلال دواوينه الستة التي وقفنا عليها بعنوان (لافتات) نستطيع أن نقول إن البناء الفني لشعره إنما يقوم في أساسه علي المفارقة الفنية التي استطاع الشاعر أن يجعلها وسيلة وغاية في الوقت نفسه. فالكشف عن فساد هذا الواقع إنما يكون بكشف اضطرابه وتناقضه وإظهار ما فيه من مفارقات من خلال صور شعرية تقابلية كانت هي وسيلة الشاعر وغايته أيضا في إبراز فساد هذا الواقع وتناقضه.

وذلك لأن غايته هي إبراز التناقض والاضطراب في هذا الواقع الذي هو أعظم الأدلة علي فساده وسقوطه . وإذا كانت خير وسيلة لإبراز الحقائق وإيضاحها هي الجمع بين الأضداد

والمتناقضات من خير وشر ، وحق وباطل، ونور وظلام ، وعلم وجهل، وقوة وضعف ،.. إلخ .

فمن ثم تتضح لنا علة إيثار الشاعر لإبراز مفارقات الواقع في معظم قصائد دواوينه ، وإن لم يكن قد استخدمها في جميعها .

ومن خلال دراستنا لتوظيف الشاعر لتلك المفارقات في شعره نستطيع أن نقف علي تكنيك فني واضح قد اتبعه الشاعر في توظيفه للمفارقة بما يكشف عن أنماط جديدة لاستخدام هذا الأسلوب[١٥] – إذا اصطلحنا علي تسميته أسلوبا– في الشعر المعاصر تختلف اختلافا كبيرا عن أنماطه التقليدية التي وقف عليها البلاغيون قديما عند تعرضهم لهذا الفن ضمن فنون علم البديع ، قاصرين إياه علي صورتين فقط من صوره وهما: الطباق والمقابلة ، باعتبارهما نوعين من المفارقة التقليدية ، وهذا يحثنا علي ضرورة

---

(١٥) لا مانع عندي من تسمية تصوير الشاعر وإبرازه لتلك المتناقضات بأسلوب المفارقة نظرا لاشتماله علي طريقة تعبيرية لها صور وأنماط متبعة لدى الشاعر بطريقة مطردة إلى حد بعيد سيكشف عنها البحث في صفحاته التالية ، فضلا عن أن بعض صور تلك المفارقات هو ما عرف لدي البلاغيين من قبل بأسلوب المطابقة أو التضاد أو المقابلة ، وهو ما اصطلحت علي تسميته عند شاعرنا بالمفارقة التقليدية ، فمن ثم لم أر غضاضة من وسم باقي صور المفارقة عند الشاعر بسمة الأسلوبية .

تتبع أنماط توظيف تلك الظواهر الفنية في الشعر الحديث والمعاصر ، وعدم الوقوف بها عند الصور والأنماط التي عرض لها القدماء ، فإنهم إنما كانوا يعرضون للصور و الأنماط الشائعة في زمانهم .

أنماط المفارقة الفنية عند الشاعر أحمد مطر .

****

نستطيع أن نقول إن الشاعر أحمد مطر قد استطاع من خلال قدرته على إبراز وتصوير تلك المفارقات أن يجعلها أسلوبا مطردا ، واستطاع أن يتفنن في تنويعه وعرضه من خلال صور وأنماط متعددة ساعدت الشاعر علي اعتماد هذا الأسلوب والإلحاح عليه في معظم قصائده ، دون أن يتسرب الملل أو الضجر إلى القارئ بسبب شعوره برتابة الأسلوب وسيره على وتيرة واحدة، وليس الهدف بالطبع من عرض هذه الأنماط وتعدادها عند شاعرنا هو التقنين لهذا الأسلوب أو بيان صوره وأنماطه التي ينبغي أن يكون عليها .

وإنما الهدف هو مجرد سبر تلك المحاولة عند هذا الشاعر ومعرفة مدى قدرته علي تنويع استخدامه الأسلوبي لهذا الفن من خلال أنماط متعددة متجددة يعيد الشاعر فيها ذاته بصورة جديدة ونمط جديد .

ومن خلال استقرائنا لمجموعة لافتات في أعدادها الستة نستطيع أن ننظر إلى أسلوب الشاعر في تصوير هذه المفارقات من خلال عدد من الأطر التي يكشف عنها البحث في صفحاته التالية .

النوع الأول : المفارقة اللفظية الكلية :

وذلك حيث تعتمد القصيدة علي مفارقة لفظية تقوم عليها القصيدة بمفردها بحيث يمكن أن يطلق عليها قصيدة المفارقة حيث تصور لنا لقطة واحدة للتناقض وذلك كما في قصيدة (الصدى)[١٧] حيث يتلخص عمود القصيدة في المفارقة بين (لا ، ونعم)حيث يصرخ الشاعر (لا) ولكنها تنقلب في النهاية (نعم) خوفا من الموت .

الصدى[١٨]

صرخت : لا

من شدة الألم

لكن صدى صوتي

خاف من الموت

فارتد لي : **نعم**

والقصيدة رغم اعتمادها علي الأسلوب التقليدي للمفارقة المعتمد علي المطابقة اللفظية بين (لا) و(نعم)مما يجعلها

---

(١٧) لافتات (١٤/١) .

(١٨) لافتات (١٤/١) .

الإطار الأول

بين اللفظية والمعنوية

****

يتنوع الأداء التعبيري للمفارقات عند مطر بين المفارقات اللفظية المعتمدة علي المطابقة اللفظية في بعض الأحيان [١٦] والمفارقات المعنوية المعتمدة علي المقابلات المعنوية في الكثير الغالب من قصائده بحيث يكاد يكون ذلك بمثابة القاعدة ، وهذا التكنيك هو المتبع في أغلب أنماط المفارقات التي سنعرض لها ، ولذا فسوف نكتفي هنا بعرض بعض أمثلة المفارقات اللفظية .

يمكننا أن نقسم المفارقات اللفظية عند مطر إلى ثلاثة أنواع :

---

(١٦) انظر أمثلة المفارقات المعتمدة علي المطابقات اللفظية في قصيدة (الصدى) – اللافتات ١/١٤ ، اللغز ١/٢٢، وثورة الطين ١/٣٣ ، ورقاص الساعة ١/٣٦، والصحو في الشمالة ١/١٥ ، وأصفار ١/٦٤ ، لا نامت أعين الجبناء ١/٧٨ ، الأرمد والكحال ١/٨٥ ، الحي الميت ١/١٠٢ ، ، بيت وعشرون راية ١/١١٢، تساؤلات ١/١٢٨ ، إنجيل بوليس ٢/٧ ، الأقزام الطوال ٢/١٠١–١٠٥ ، أعرف الحب ولكن ٤/١٢٤– ١٣٢ ، سر المهنة ٣/١٠، ومواضع كثيرة متفرقة في اللافتات ، ط بيت الحكمة – القاهرة . أما أمثلة المفارقات المعنوية فهي ما ذكرناه في عرضنا لبقية أنماط المفارقات.

قريبة من الأسلوب التقريري المباشر فإنها قد نجحت في توظيف هاتين الكلمتين (لا) و(نعم) كرمزين للرفض والرضوخ القهري وتصويره تلك المفارقة الواضحة بين إرادة الشاعر في رفض واقع الفساد ، وبين رضوخه واستسلامه القهري في نهاية الأمر خوفا من الموت .

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قصيدة إنجيل بوليس .

إنجيل بوليس(١٩)

في البدء كان الكلمة

ويوم كانت أصبحت متهمة

فطوردت

وحوصرت

واعتقلت

.. وأعدمتها الأنظمة

في البدء كان الخاتمة .

تدور القصيدة هنا كذلك علي المفارقة الحاصلة من اتحاد البداية والنهاية في مولد الكلمة وموتها ، حيث توأد في مهدها .

---

(١٩) لافتات (٢/٧) .

وحيث تبدو المفارقة اللفظية واضحة بين البدء والخاتمة ، فإن الشاعر لا يكتفي بتلك المفارقة التقليدية القائمة علي الطباق اللفظي بل يدعمها بتصوير لحظة الخاتمة بذلك الإيقاع السريع :

أصبحت متهمة

فطوردت

وحوصرت

واعتقلت

وأعدمتها الأنظمة [٢٠]

النوع الثاني : المفارقة اللفظية الجزئية :

وذلك حيث تمثل المفارقة اللفظية جزءا من نسيج المفارقة الكلية التي قد تتكون من عدد من المفارقات الجزئية سواء كانت معتمدة علي الطباق اللفظي أم علي غيره من أنماط المفارقة التي درج الشاعر عليها ، وذلك كما في قصيدة ثورة الطين [٢١]

ثورة الطين

---

(٢٠) من الأمثلة الواضحة علي هذا النوع أيضا غير ما ذكرنا قصيدة رقاص الساعة ٣٦/١ ، قصيدة سر المهنة ١٠/٣، وقصيدة حرية ٣٣/٣، وقصيدة حكمة ٧٦/٢، والتهمة ١٧/١ ، وأمثلة أخرى مما سبق الإشارة إليها .

(٢١) لافتات ٣٣/١

وضعوني في إناء

ثم قالوا لي : تأقلم

وأنا لست بماء

أنا من طين السماء

وإذا ضاق إنائي بنموي

.. يتحطم

***

خيروني

بين موت وبقاء

بين أن أرقص فوق الحبل

أو أرقص تحت الحبل

فاخترت البقاء

قلت : أعدم

فاخنقوا بالحبل صوتي الببغاء

وأمدوني بصمت أبدى يتكلم

نلاحظ أن القصيدة تقوم على مفارقة كلية : أحد جانبيها الشاعر بما يتمسك به من القيم والمبادئ حيث يرفض التلون والتحول عما هو عليه والرضوخ للباطل .

والجانب الآخر هو الباطل ومحاولته قهر الشاعر على الرضوخ له بشتى السبل والوسائل القهرية ، بالترغيب والترهيب ، بتخييره بين النفاق والمداهنة أو الإعدام والشنق ، وينجح الشاعر في توظيف المفارقات اللفظية الجزئية المعتمدة علي الطباق اللفظي بين الموت والبقاء ، والرقص فوق الحبل وتحت الحبل ، والصمت والتكلم ، والبقاء والعدم ، وإن كان يستخدم البقاء والعدم هنا بدلالات عكسية ا حدث نوعا من المفارقة ذات الدلالة المركبة التي سنشير إليها قريبا ، فالبقاء الذي اختاره ليس هو البقاء الدنيوي الذي هو ضد الموت ولكنه هو البقاء الأخروى الذي لا يتأتى إلا بالموت ؛ فاختياره البقاء هنا يعني اختيار الموت وبالتالي يكون اختياره للإعدام اختيارا للنجاة والبقاء [٢٢]

---

(٢٢) انظر من أمثلة هذا النوع ، عقوبات شرعية ٢١/١، (بين صامتا وأشكو) عائدون (٤١/١) بين (عاد-فلا عدنا) ، الصحو ٥/١ بين (خير و شر) ، الفاتحة ٧/٣ بين (الإجابات-الأسئلة) ، عباس يستخدم تكتيكا جديدا ٣٨/١ ، بين (علا - خف) ... إلخ أمثلة هذا النوع .

النوع الثالث : المفارقة اللفظية العارضة :

وذلك في القصائد التي لا تقوم في أساسها على المفارقة ، أو تقوم على مفارقة أخرى من غير جنس هذه المفارقة الجزئيـــة . مع التفريق هنا بين استخدام الشاعر للطباق اللفظي اســـتخداما عابرا دون توظيف له لإحداث مفارقة ، وبين استخدامه لإحداث مفارقة لفظية حقيقة .

ففي قصيدة "إن الإنسان لفي خسر"[٢٣] يقول الشاعر .

إن الإنسان لفي خسر

((والعصر ...

إن الإنسان لفي خسر))

في هذا العصر

فإذا الصبح تنفس

أذن في الطرقات نباح كلاب القصر

قبل أذان الفجر

وانغلقت أبواب يتامى ..

وانفتحت أبواب القبر

---

(٢٣) لافتات (١٢٧/١) .

نلاحظ طباقا لفظيا بين (انغلقت وانفتحت) ولكنه لا يشكل هنا مفارقة نظرا لكونها صورا متجانسة تصور جانبا واحدا من جانبي المفارقة ، فانغلاق أبواب اليتامى ، وانفتاح أبواب القبر كلها صور جزئية من الصورة الكلية للظلم والطغيان ، وبالتالي لا يمثل الطباق بين انغلاق أبواب اليتامى وانفتاح أبواب القبر نوعا من المفارقة لأنهما صورتان متجانستان ؛ فالمفارقة هنا بين الانغلاق والانفتاح عرضية لفظية واقعة داخل جانب واحد من جانبي المفارقة الكلية التي تقوم عليها القصيدة ، ولذلك سميناها عارضة .

ولعل هذا يبرز الفارق بين مصطلح الطباق القديم ، ومصطلح المفارقة الحديث ، فليس كل طباق مفارقة وكذلك ليست كل مفارقة طباقا .فالمقصود هنا هو الطباق اللفظي الذي يحدث نوعا من المفارقة العارضة في القصيدة ، وذلك كالطباق بين (الضحك والعبرة) في قصيدة اللغز [٢٤] حيث يقول الشاعر :

حضنتها أمي ضاحكة
لكني خنقتني العبرة

(٢٤) اللغز ١/٢٢ ، وسنأتي بنصها في الحديث عن المفارقة الخداعة .

فبين (الضحك والعبرة) طباق لفظي ومفارقة لفظية عارضـــة في الوقت نفسه داخل المفارقة الأساس ، بين المثال المختزن في الذهـن عن البلاد والواقع الحادث ،وهو كون البلاد زادا للرائح والغادي .

وكذلك في قصيدة أصفار .

أصفار (٢٥)

قرأت في الجرائد
أن ((أبا العوائد))
يبحث عن قريحة تنبح بالإيجار
تخرج ألفي أسد من ثقب أنف الفار
وتحصد الثلج من المواقد
ضحكت من غبائه
لكنني قبل اكتمال ضحكتي
رأيت حول قصره قوافل التجار
تنثر فوق نعله القصائد

**

لا تعجبوا إذا أنا وقفت في اليسار
وحدي

---

(٢٥) لافتات (٦٤/١) .

فرب واحد

تكبر عن يمينه قوافل

ليست سوى أصفار

نلاحظ المفارقة اللفظية العارضة بين الثلج والمواقد ، وهي وإن لم تكن طباقا لفظيا فهي مفارقة معتمدة علي الألفاظ شبه المتضادة في اللفظ ، بخلاف المفارقة المعنوية التي لا تعتمد علي التضاد اللفظي بقدر ما تعتمد علي تشكيل جانبين متناقضين من حيث الصورة الكلية في كل منهما .

ونلاحظ هنا أنها مفارقة عارضة واردة ضمن المفارقة الأصلية بين المتاجرين بالكلمة والمقدس لها . (٢٦)

وهذه المفارقة العارضة تبرز مدى التناقض لدى هؤلاء المتاجرين بالكلمة .

المفارقة المعنوية : أما أمثلة المفارقة المعنوية فهي كثيرة وسوف نشير إليها في أكثر النماذج التالية باعتبارها أصلا وقاعدة.

---

(٢٦) من أمثلة هذا النوع أيضا المفارقة اللفظية بين (المفرد والجماعة) في قصيدة نبوءة ١٩/١ (تكر .. تفر) وفي قصيدة اللعبة (٦٦/١)، والمفارقة بين (الصمت و الجلجلة) في قصيدة اغتناء السنبلة ١١٠/١،والمفارقة بين (الحلال والحرام)في قصيدة (صلاة في سوهو) ١٨٢/٢

الإطار الثاني

المفارقة بين الجوهرية والعرضية

****

نقصد بذلك أن ننظر إلى المفارقة من جهة كونها جوهر القصيدة وعمودها الذي تقوم عليه بحيث تسمى قصيدة المفارقة أو من جهة كونها مفارقة عارضة يتضح أنها مستخدمة كوسيلة من الوسائل المتعددة في البناء الفني للقصيدة .

وقد مر من أمثلة المفارقة الجوهرية ما عرضناه في المفارقة اللفظية الكلية ، وكذلك مرت أمثلة المفارقة العرضية في أمثلة المفارقة اللفظية العارضة وسيأتي من أمثلتها المعنوية الكثير في الأنماط التالية .

ولذا فسوف نقتصر هنا علي مثال أو أكثر لكل منهما .

أولا :مثال المفارقة الجوهرية:

قصيدة :(قمة)[٢٧]

ولد الطفل سليما

ومعافى.

---

(٢٧) لافتات (٣/٧٧) .

طلبوا منه اعترافا

نلمح في هذه القصيدة القصيرة أنها قائمة في جوهرها علي المفارقة بين ما نلمحه في الطفل المولود حديثا من الطهر والمعافاة والسلامة والبراءة ، وبين محاولة إلصاق التهم به منذ ولادته ، وإجباره علي الاعتراف بما ليس له به يدان .

ومن أمثلتها كذلك قصيدة (مسألة مبدأ)[٢٨]

مسألة مبدأ

قال لزوجه : اسكتي

وقال لابنه : انكتم

صوتكما يجعلني مشوش التفكير

لا تنبسا بكلمة

أريد أن أكتب عن

حرية التعبير

نلاحظ هنا اعتماد القصيدة بصورة جوهرية علي المفارقة بين ممارسة المستبد لسياسة الكبت ، وتكتيم الأفواه ، ومنعها من

(٢٨) لافتات (٢٧/٥) .

التكلم ، وبين دعوته إلى حرية التعبير ، وهي مفارقة واضحة تقوم عليها القصيدة ..

والقصيدة القصيرة القائمة علي المفارقة بصفة جوهرية تمثل نسبة ليست بالقليلة في شعر أحمد مطر [٢٩].

أما أمثلتها في القصيدة الطويلة فهي الأكثر شيوعا في أنماط المفارقات عنده .

وأما أمثلة المفارقة المعنوية العرضية : ما جاء في قصيدة (**حوار على باب المنفى**)[٣٠] وهي من قصائده الطوال .

حوار علي باب المنفى

لماذا الشعر يا مطر ؟

- تسألني لماذا يزغ القمر

لماذا يهطل المطر ؟

لماذا العطر ينتشر

---

(٢٩) انظر أمثلة ذلك فيما سبق عرضه في الإطار الأول والثاني، وانظر علي سبيل المثال : قصيدة حكمة ٧٦/٢ وقصيدة الصدى ١٤/١، وخطاب تاريخي ٨١/١ ، الجزاء ٥٥/١ ونبوءة ١٠/١، وعلامة النصر ٧٧/١ ، وحرية ٥٥/٣، وتهمة ٧٧/٣ ، مسألة مبدأ ٢٧/٥ .. إلخ

(٣٠) لافتات (١٩٤/٢) .

أتسألني .. لماذا ينـــزل القدر
أنا نبت الطبيعة
طائر حر
نسيم بارد حرر
محار .. دمعه درر
أنا الشجر
تمد الجذر من جوع
وفوق جبينها الثمر
أنا الأزهار
في وجناتها عطر
وفي أجسادها إبر
أنا الأرض التي تعطي كما تعطى
فإن أطعمتها زهرا
ستزدهر
وإن أطعمتها نارا
سيأكل ثوبك الشرر (٣١)

(٣١) راجع القصيدة بتمامها في اللافتات ٢/١٩٤ــ١٩٥

نلاحظ هنا مفارقة عارضة بين حالي الشاعر في صفوه وسلامه، وحاله في ثورته وتكدره واهتياجه غيظا علي أعدائه وأعداء الإنسانية.

كما تتكرر تلك المفارقة أيضا في تشبيه نفسه بالأرض مزدهرة زهرا أو مشتعلة نارا.

والمفارقة هنا عارضة في القصيدة ، فليست قائمة في جورها علي تلك المفارقة ولكنها في الوقت نفسه ليست غريبة ولا متنافرة عن موضوع القصيدة، وهو وظيفة الشاعر التي تمثل مفارقة جوهرية بين واقع الكبت والقمع ،وبين صوت الحق الصادع ، أما المفارقة العارضة فهي في طبيعة الشاعر نفسه ؛فالشاعر قد يفيض شعره رحمة وحنانا وسلاما للناس ، وقد يقذف الحمم علي من يستحقونها .

الإطار الثالث

بين وجازة العرض والإطناب فيه

****

نقصد بذلك أن عرض شاعرنا للمفارقة يتنوع بين الصورة الموجزة التي لا تتعدى بضعة أسطر[٣٢]، وبين الإطناب في العرض من خلال عدة طرق ، منها :

١- التكرار لأنواع المفارقات المتجانسة .

٢- إجمال المفارقة ثم تفصيل صورها بعد ذلك.

٣- عرض المفارقة من خلال حبكة فنية.

٤ -إخفاء المفارقة والتمويه على القارئ في عرضها حتى يفجاه بها[٣٣].

المفارقة القصيرة:

المفارقة القصيرة في شعر أحمد مطر نعنى بها أن يعرض الشاعر مشهد المفارقة في لقطة واحدة أو مشهد قصير لا يتجاوز في الغالب بضعة أسطر .

---

(٣٢) سيأتي عرض أمثلة ذلك النوع في الأنماط التالية .

(٣٣) سيأتي عرض أمثلة تلك الأنواع قريبا.

فعلى سبيل المثال قصيدته (خطاب تاريخي)[٣٤] إذا ما اصطلحنا علي تسمية مثل ذلك قصيدة يقول فيها :

رأيت جرذا
يخطب اليوم عن النظافة
وينذر الأوساخ بالعقاب
وحوله
.. يصفق الذباب !

يعرض لنا صورة تمثيلية مركبة من عدة عناصر متقابلة علي جهة المفارقة والتناقض ، فيرسم لنا صورة جرذ وهو رمز للقذارة والتدني ، ولكنه في الوقت نفسه متناقض داخليا ، إذ يظهر في صورة الداعي إلى النظافة المتوعد بالإهمال فيها بينما هو ممتلئ بالأقذار والأدناس والذباب يصفق من حوله.

ولا يفوتنا أن ننبه هنا إلى أن هذه المفارقة هي أيضا من نوع المفارقة الرمزية ، فالجرز رمز الدناءة والقذارة هو هنا رمز للحاكم الدنيء الذي ينافق شعبه ويظهر في صورة الداعي إلى العفة والطهارة ، بينما يبدو في الوقت نفسه ملوثا بأدناسه

(٣٤) انظر لافتات ١٨/١

وأرجاسه وقد اجتمع حوله الذباب يصفق ؛لأنه قد وجـــد فيـــه حاجته ومرتعه الدنيء ،ولا يخفى علي القارئ أن الذباب هنا أيضا رمز لحاشية السوء وبطانة الشر الملتفة حول ذلك الحاكم .

الإطار الرابع

بين الوحْدة والتكرارية أو الإجمال والتفصيل

****

يتنوع عرض الشاعر لمفارقاته بين القصيدة ذات المفارقة الواحدة ـــ كما رأينا في قصيدة المفارقة الجوهرية ـــ وبين المفارقة القائمة أساسا علي عرض صور من المفارقات المتجانسة بحيث تتكرر المفارقة الواحدة بصور مختلفة ، وذلك كما في قصيدته الوصايا [٣٥]

الوصايا :

(١)

عندما تذهب للنوم

تذكر أن تنام

كل صحو خارج النوم

حرام

وخذ الفرشاة والمعجون

---

(٣٥) لافتات ٢/١٧٤-١٨١، وانظر أيضا من أمثلة هذا النوع للمفارقة التكرارية قصيدة (يا ليل يا عين) (٢/١٨٨-١٩٣)

واغسل
ما تبقى بين أسنانك من بعض الكلام
أنت لا تأمن أن تدهمك الشرطة
حتى في المنام
ربما تشخر
أو تعطس
أو تنوى القيام
فدع المصباح مشبوبا
لكي تدرأ عنك الاتهام
يا صديقي
كل فعل في الظلام
هو تخطيط لإسقاط النظام

(٢)

احترم حظر التجول
لا تغادر غرفة النوم
إلى الحمام ، ليلا ،
للتبول

(٣)

قبل أن تنوى الصلاة

اتصل بالسلطات

واشرح الوضع لها

لا تتذمر

وخذ الأمر بروح وطنية

يا صديقي

خطر أي اتصال

بجهات خارجية

(٤)

عند إفطارك

لا تشرب سوى كوب اللبن

قدح البن منبه

فتجنبه إذن

قدح الشاي منبه

فتجنبه إذن

يا صديقي

كل شخص متنبه
هو مشبوه ، مثير للفتن
يبتغي أن يشعل الوعي
لإحراق الوطن

(٥)

لك في المطبخ آلات
تثير الارتياب
انتزع أنبوبة الغاز
ولا تنس السكاكين ، وأعواد الثقاب
وسفافيد الكباب
ربما تطبخ شيئا
وتفوح الرائحة
ما الذي تفعله لو ضبطوا
عندك هذى الأسلحة ؟
هل ترى تقنعهم
أنك مشغول بإعداد طبيخ
لا بإعداد انقلاب ؟

(٦)

قبل أن تخرج

دع رأسك في بيتك

من باب الحذر

يا صديقي

في بلاد العرب أضحى

كل رأس في خطر

.. ما عدا رأس الشهر

انتبه عند الإشارة

لا تقف حتى إذا احمرت

إذا كنت قريبا من سفارة

(٨)

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد

ربما قبل حلول الليل

تبعد

(٩)

أغلق السمع

ولا تصغ لأبواق الخيانة
ليس في التحقيق ذل
أو عذاب أو إهانة
أنت في التحقيق موفور الحصانة
ربما يشتمك الشرطي
من باب (الميانة)
هل تسمى ذلك اللطف إهانة ؟
ربما تربط في مروحة السقف
لكي تصبح في أعلى مكانه
هل تسمى ذلك العز إهانة ؟
ربما مصلحة التحقيق تضطر المحقق
أن يجس النبض من كل الزوايا
ويدقق .
فإذا جسمك من (ظهرك)
أو ثبت فيه الخيزرانة
لا تظن الأمر ذلا
أو عذابا أو مهانة

يا صديقي
إن إثبات العصا في (الظهر)
إجراء ضروري
لإثبات الإدانة

(١٠)

لا تمت منتحرا
لا تسلم الروح لعزرائيل
في وقت الوفاة
ليس من حقك
أن تختار نوعية أو وقت الممات
انتبه
لا تتدخل في اختصاص السلطات .

الشاعر هنا يعرض عددا من المتناقضات أو المفارقات المتجانسة التي ترجع كلها إلى معنى واحد وهو كشف فساد كثير من الأنظمة الفاسدة في بلاده.

وفي الموضوع نفسه ،وهو كشف الأنظمة الفاسدة من خلال عرض الشاعر للعديد من المفارقات تأتي قصيدة (شؤون داخلية)

(شؤون داخلية)[٣٦]

وطني ثوب مرقع

كل جزء فيه مصنوع بمصنع

وعلي الثوب نقوش دموية

فرقت أشكالها الأهواء

لكن

وحدت ما بينها نفس الهوية :

عفة واسعة تشقى

وعهر يتمتع

* *

وطني : عشرون جزارا

يسوقون إلى المسلخ

قطعان خراف آدمية

وإذا القطعان راحت تتضرع

لم تجد عينا ترى

أو أذنا من خارج المسلخ .. تسمع

---

(٣٦) لافتات (١٦٢/٢) .

فطقوس الذبح شأن داخلي
والأصول الدولية
تمنع المس بأوضاع البلاد الداخلية
إنما تسمح أن تدخل أمريكا علينا
في شؤون السلم والحرب
وفي السلب وفي النهب
وفي البيت وفي الدرب
وفي الكتب
وفي النوم وفي الأكل وفي الشرب
وحتى في الثياب الداخلية
فإذا ما ظلت التيجان تلمع
وإذا ظلت جياع الكوخ
تستجدي بأثداء عذاراها لتدفع
وكلاب القصر تبلع
وإذا لم يبق من كل أراضينا
سوى متر مربع
يسع الكرسي والولي

فإن الوضع في خير .. وأمريكا سخية

* *

فرقتنا وحدة الصف

علي طبل ودف

وتوحدنا بتقبيل الأيادي الأجنبية .

عرب نحن .. ولكن

أرضنا عادت بلا أرض

وعدنا فوقها دون هوية

فبحق (البيت)

.. والبيت المقنع

وبجاه التبعية

أعطنا يا رب جنسية أمريكا

لكي نحيا كراما

في البلاد العربية

وفي إطار كشف الأنظمة الفاسدة:

كذلك تتكرر المفارقات في قصيدة يا ليل يا عين[٣٧].

---

(٣٧) لافتات (٢/١٨٨-١٩٣) .

يا ليل .. يا عين

آه يا ليل .. ويا عيني

متى الثورة تشتعل

لترى عيني ، وهذا الليل يرحل ؟

آه يا ليل .. كما تهوى تجمل

بضياء البدر والنجم

فعيني ليس تجهل

أن هذا الضوء مسروق من الشمس

وعيني ليس تجهل

أن وجه الصبح من وجهك أجمل.

آه يا ليل .. لقد أطفأت عيني

غير أني سأغني

أسمي كل شيء باسمه كي لا يؤول

وأعرى كل كرش فوق عرش

من دمائي يترهل

أيها الشاعر لا تعجل

فإن الموت أعجل

- لا أبالي

ذلك الإنسان تحت النعل إنسان

ذاك الأسود المخصي تحت التاج مخصي

وذاك الأحول الدجال أحول.

- أيها الشاعر .. يكفي

- لا .. دعوا الصرخة تكمل

ذلك القواد فوق العرش قواد

يسوق الأرض والعرض إلى ماخور أمريكا

إن لم ترض أمريكا بهذا العرض يخجل

فيبيع الله والقرآن والكعبة بالمجان

كي لا يتبدل .

- أيها المجنون جاوزت مدى التعبير .. فاعقل

- أنا من عقلي أعقل

ذلك الثوري شيخ قبلي

أصبحت ناقته دبابة

خيمته قصرا

وأمسى عدله الظالم قانونا
علي مر الثواني يتعدل
بابه المفتوح .. مقفل
زيه الحربي .. مخمل
ذبحه للشعب فوري
علي شرعه دستور مؤجل
وهو لا ينسب للثورة
بل للثور
فالثورة وعى
والرفيق الشيخ .. أثول![*]
- أيها المجنون قد بالغت .. فاعقل
الصناديق التي غص بها البحر
صناديق علي بقعة زيت تتقلقل
كل صندوق به تيس معقل
ماله من أمره — وهو ولي الأمر— شيء

([*]) الأثول: البطئ النصرة والخير والعمل والجد، والثول بالتحريك: شبه جنون في الشاء، يقال للذكر أثول، وللأنثى ثولاء.

فبأمر الموجة الزرقاء يأتي
وبأمر الموجة الزرقاء يرحل
مستقل فوق عرش الماء .. لكن
يطلق النار علي البحر
إذا سرواله السامي تبلل
غير منحاز إلى الغرب أو الشرق
ولكن
هو جنس ثالث
بينهما بالعدل يعمل
فتخيل
كم لقيط أجنبي
يحتوى في كرشه السامي
لو أن الذكر المخصي يحبل !

- أيها المجنون ...
- كفوا

أنا في مستنقع القهر غريق منذ ميلادي
فماذا بعد هذا القهر يحصل ؟

سوف تقتل

اسمعوني

عندما تزدهر الأشواك

والأزهار تذبل

ويصير اللص ناطورا لبيت المال

والمال علي رايته الخضراء

في الماخور يبذل

عندما تمتلك الأوثان بيت الله

والشيطان يفتي هيئة الفتوى

ويستغني عن السنة

والقرآن يفصل

عندما تحتسب العفة جرما

ويد المأبون والزاني تقبل

ألف شكر للذي يقتلني

.. فالموت أفضل !

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قصيدته: (أمل أخير)

أمل أخير[٣٨]

في صبحنا الدامس

ألمح لصا راكضا

في أثر الحارس !

أرى حمارا راكبا

بردعة الفارس !

أرى حبيسا داعيا

بالنصر للحابس !

ألمح عريانا يقي بجلده القارس

أحذية اللابس !

أسمع وردا هاتفا للقنفذ الفاطس :

(نفديك يا خايس)!

لي أمل خبأته للزمن العابس

أدعوه : هل أنت هنا ؟

يجيبني : نعم ، هنا

لكنني يائس !

---

(٣٨) لافتات (٥/١٢٠) .

تتكرر رؤى الشاعر في هذه القصيدة لمفارقات الواقع ؛ ومن ثم يتكرر تعبيره عن تلك الرؤى بهذه الأفعال (ألمح، أرى، أسمع ..) كما تتكرر المفارقات كذلك في قصيدة (حوار على باب المنفى)[٣٩]

ففي هذه القصيدة تتكرر المفارقات التي تعبر عن طبيعة الشاعر فهو :

محار دمعه درر.

شجر يمد جذره من الجوع ،وفوق جبينه الثمر.

أزهار فوق جبينها الثمر .

وفي أجسادها إبر ...إلخ

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قصيدته (عجائب):

عجائب[٤٠]

إن أنا في وطني

أبصرت حولي وطنا

أو أنا حاولت أن أملك رأسي

دون أن أدفع رأسي ثمنا

---

(٣٩) سبق إيراد القصيدة ، وهي في ديوانه لافتات (١٩٤/٢) .

(٤٠) لافتات (٢٠/٤) .

أو أنا أطلقت شعري
دون أن أسجن أو أن يسجنا
أو أنا لم أشهد الناس
يموتون بطاعون القلم
أو أنا أبصرت (لا) واحدة
وسط ملايين (نعم)
أو أنا شاهدت فيها ساكنا
حرك فيها ساكنا
أو أنا لم ألق فيها بشرا ممتهنا
في وطنه ولا يبصر حوله وطنا
أو أنا عشت كريما مطمئنا آمنا
فأنا – لا ريب – مجنون
وإلا ..
فأنا لست أنا

ففي هذه القصيدة تجتمع العديد من المفارقات لتشـــكل المفارقة الكبرى في تلك القصيدة :

فالشاعر يحاول أن يملك رأسه فيدفع رأسه ثمنا.

يطلق الشعر فيسجن هو أو يسجن شعره .

يصير التعبير عن الرأي طاعونا يقتل الناس .

يتمادى الباطل فتذعن له الملايين قائلة نعم ، ولا يبصر واحدا يقول (لا) .

ويظل الشاعر يعد المتناقضات ليصل إلى المفارقة الكبرى وهى الانفصام التام بينه وبين شعوره بكيانه أو ذاته وحريته واستقلاله في ظل أنظمة القمع السائدة في بلاده .

وقد يأتي تكرار صور المفارقة كنوع من التفصيل لمفارقة أساسية يجمل الشاعر ذكرها في بداية القصيدة ثم يأخذ في تفصيلها بعرض العديد من صورها .

ومن الأمثلة الجيدة لهذا النوع من (المفارقة التفصيلية) قصيدة (ليس بعد الموت موت) [٤١]

ليس بعد الموت موت

نحن في أوطاننا صرنا سبايا

ومطايا للمطايا

---

(٤١) لافتات ١٣٧/٢-١٤٠، وانظر أيضا :لافتات – قصيدة شؤون داخلية ١٦٢/٢وانظر أمثلة المفارقة التكرارية بنوعيها السابقين (لافتات، – عقوبات شرعية ٢٠/١-٢١ ، حكاية عباس ٣٠/١-٣٢، ثورة الطين ٣٣/١، حيثيات الاستقالة ٧٣/٣، صباح الليل يا وطني ٨١/٥، ثارات ١٠/٦ ديوان المائل ٣٨/٦-٤٢ .

وعراة في العراء

وجياعا فقراء

غير أنا

ننـــزف الثروة والزاد لأصحاب الحوايا

ولأصحاب الثراء

وكفاهم رحمة

أن يتركوا من دمنا فينا .. بقايا

وكفاهم كرما

أن يمنحونا الذل مجانا

وأن يحتسبوا القهر عطايا

وكفاهم رقة

أن يمنحونا حق تقرير البكاء

وكفانا عزة في ظلهم

أنا تقدمنا كثيرا ... للوراء !

**

نحن في أوطاننا

نغرق في بحر لظى

لكننا نحلم بالدفء

ونشتاق إلى بعض الضياء

وعلي أجسادنا

نحن التقاة الشرفاء

تقطع النيران أميالا

لكي تدفيء أجساد البغايا

ولكي تغدو سلاحا

يحرس الجزار من كيد الضحايا

فعلي رغم سواد الوجه منا

لم يزل بيت إله الخلفاء

أبيض الوجه ... صقيلا كالمرايا

لم يزل يغسل بالزيت

علي أيدي الرعايا

لم يزل يمسح يوميا

بآلاف القضايا

وبما يهرقه ((الأشـراف))

من ماء الحياء

وعلي حمارة القيظ

برمضاء الخطايا

وعلي رنة ناقوس الرزايا

فوق آبار الشقاء

لم يزل يرقد بيت الله

محزونا .. جريح الكبرياء

لم يزل مرتديا ثوب حداد

لم يزل تغسله منا دموع ودماء

* * *

بلغ السيل الزبى

ها نحن والموتى سواء

فاحذروا يا خلفاء

لا يخاف الميت الموت

ولا يخشى البلايا

قد زرعتم جمرات اليأس فينا

فاحصدوا نار الفناء

وعلينا .. وعليكم

فإذا ما أصبح العيش
قرينا للمنايا
فسيغدو الشعب لغما
.. وستغدون شظايا

نلاحظ هنا أن الشاعر قد أجمل المفارقة الأساس في بداية القصيدة ، وهذه المفارقة هي غربة أبناء الوطن وأصحابه فيه ، فهي من صور المفارقة بين المثال والواقع ، حيث المثال المختزن في الذهن لتحقق الأمن والتنعم بخيرات الوطن ، والواقع المناقض لذلك المفترق معه.

ويبدأ الشاعر بتقرير تلك المفارقة ، ثم يعود ليفصلها بتعداد العديد من صورها بعد ذلك ، فنحن نجمع الثروة والزاد ليس لنا ولكن لأصحاب الحوايا والثراء ونكتفي منهم أن يمنحونا حق البكاء ، والتقدم للوراء . ونحن نحلم بالدفء ولكن تشعل أجسادنا نيرانا لتدفيء أجساد البغايا ، ولكي تغدو سلاحا تحرس الجزار من كيد الضحايا ... إلخ الصور المتناقضة المفترقة .

الإطار الخامس

بين السذاجة والحبكة

قد تأتي المفارقة عند الشاعر في صورها الساذجة النمطية المألوفة التي عرضنا لها من قبل ، وقد يجتهد الشاعر في كثير من الأحيان في اختراع تكنيك فني جديد ، أو تشكيل قالب مبتكر لعرض المفارقة من خلال ما يشبه الحكاية أو الرواية بأركانها الفنية المعروفة.

فالمفارقة المحبوكة يمهد لها الشاعر بما يشبه التكنيك الفني الروائي حيث يتدرج بالأحداث في حبكة فنية رائعة حتى يصل بها إلى العقدة ثم يحاول بعد ذلك حل هذه العقدة ليصل إلى النهاية التي نقف فيها علي مفارقة عجيبة ولنأخذ علي سبيل المثال قصيدة (قلم)[٤٢] يقول الشاعر :

قلم

جس الطبيب خافقي
وقال لي :
هل ها هنا الألم ؟
قلت له :نعم

---

(٤٢) لافتات (٣٨/١) .

فشق بالمشرط جيب معطفي
وأخرج القلم
**

هز الطبيب رأسه .. ومال وابتسم

وقال لي :

ليس سوى قلم

فقلت لا يا سيدي

هذا يد .. وفم

رصاصة ..ودم

وتمة سافرة .. تمشى بلا قدم !

فالشاعر هنا يصطنع قصة درامية قصيرة تقوم بصفة أساسية علي حوار بينه وبين الطبيب الذي يعرض الشاعر نفسه عليه فيجس خافقيه ويسأل عن موضع الألم : هل ها هنا الألم ؟ فيجيبه : نعم ويصور الأمر في صورة حدث حقيقي وكأنها عملية جراحية حقيقية ، ولكنه في هذه العملية يشق بالمشرط جيب معطفه ليستخرج القلم ، الذي يستبعد الطبيب أن يكون هو مصدر الألم ، وذلك لاستهانته به أن يحدث للشاعر ما يشعر به من الألم.

وهنا يحل لنا الشاعر تلك العقدة ، حيث يكشف لنا عن تلك المفارقة العجيبة التي يتحول فيها القلم في زمان القهر والظلم إلى همة سافرة تمشي بلا قدم .

يتضح أن المفارقة هنا تشتمل على ضرب من المفاجأة وخداع القارئ لإيقافه علي تلك المفارقة العجيبة بين الحقيقة والواقع المرير، بين القلم كأداة للمعرفة والتحرر ، وبين الواقع المرير الذي يصير فيه القلم سببا في الاتهام والقهر والإذلال مما يسبب لصاحبه أشد الألم، بحيث يصير القلم والألم وكأنهما لفظان مترادفان، ولعل الشاعر قد استثمر تحريف لفظ القلم في العامية إلى لفظ الألم، وكأنه رأى هذا التحريف غير المقصود مطابقة لحال القلم في واقعنا المعاصر .

كذلك فقد حسن من تلك المفارقة كذلك بين القلم والألم ما بين اللفظين من جناس ظاهر ساعد علي استيقاف الذهن لعقد مطابقة أو مقارنة بين اللفظين .

كما يمكننا كذلك أن ندرج هذه المفارقة فيما سميناه بالمفارقة الرمزية ، وهي التي يخلع فيها الشاعر من خلال المفارقة على بعض الرموز معاني جديدة غير المعاني التي عرفت أو اشتهر بها ؛ فالقلم

الذي هو رمز العلم والتحرر يخلع عليه الشاعر معنى جديدا يجعله رمزا للألم والكبت والقهر ، وتتولد المفارقة من خلال الجمع بين المعنيين لهذا الرمز الواحد .

ومن المفارقات المحبوكة لدى الشاعر أحمد مطر ، والتي تدور حول القلم أيضا قصيدة (وظيفة القلم)[٤٣] التي يمكن أن نضع لها عنوانا آخر أليق بطبيعة المفارقة فيها وهو (يطلب الأمن والأمن يطلبه)

وظيفة القلم

عندي قلم
ممتلئ يبحث عن دفتر
والدفتر يبحث عن شعر
والشعر بأعماقي مضمر
وضميري يبحث عن أمن
والأمن مقيم في المخفر
والمخفر يبحث عن قلم
عندي قلم
وقع يا كلب علي المحضر

---

(٤٣) لافتات (٦/٥) .

يعد هذا الموضوع الذي اختاره الشاعر عنوانا لقصيدته من الموضوعات الأثيرة لديه ، حيث تناوله في عدد من القصائد كلها تبرز المفارقة بين حقيقة القلم وواقعه.

وتأتي هذه القصيدة لتكشف عن المفارقة العجيبة بين شاعر يبحث عن الأمن لكي يبوح بكلمة تستكن في ضميره .

وهو يملك أداة القول وهي القلم والكلمات ، ولكنه يبحث عمن يؤمنه حتى يكتب كلماته ،وفي الوقت ذاته فإن أرباب الأمن وأصحاب السلطة في البلاد يبحثون عن أصحاب الأقلام لا ليمكنوهم من الكتابة بل ليجعلوا من امتلاكهم للقلم (رمز الـ : والتنوير) أداة لاتهامهم ودليلا علي إدانتهم .

إنها مفارقة عجيبة بين حال السلطة التي ينبغي أن تكون حامية لأصحاب الأقلام مؤمنة لهم ، فإذا بها هي الطالبة لهم المكبلة لأيديهم والمكممة لأفواههم . والقصيدة علي قصرها تشبه الحبكة الروائية التي تتدرج في سرد أحداث متسلسلة ذات حلقات تسلم كل واحدة منها للتي تليها .

فالقلم يبحث عن دفتر

والدفتر يبحث عن شعر

والشعر بأعماقي مضمر ... إلخ إلى أن يصل إلى العقدة وهي طلبه للأمن ليجد أن هذا الأمن الذي ظن أن فيه خلاصه ونجاته هو بعينه حتفه وهلاكه ، لتنتهي القصة بنهاية مأساوية تبرز حقيقة المفارقة.

من المفارقات المحبوكة أيضا في شعر أحمد مطر تلك المفارقة التي قام عليها بناء قصيدته (**عدالة**)[٤٤] والتي يقول فيها :

يشتمني
ويدعى أن سكوتي
معلن عن ضعفه !
يلطمني
ويدعى أن فمي قام بلطم كفه !
يطعنني
ويدعي أن دمي لوث حد سيفه
فأخرج القانون من متحفه
وأمسح الغبار عن جبينه
أطلب بعض عطفه

---

(٤٤) لافتات (١/١٥) .

لكنه يهرب نحو قاتلي

وينحني في صفه !

**

يقول حبري ودمي :

لا تندهش

من يملك ((القانون)) في أوطاننا

هو الذي يملك حق عزفه

القصيدة تقوم في بنائها علي المفارقة ذات الحبكة التي يتدرج فيها الشاعر ليصل إلى عقدة ثم إلي لحظة تنويرية كاشفة .

والمفارقة هنا إنما هي بين السلطة بقوتها وجبروتها واعتداءاتها المتكررة وبين صاحب الحق الضعيف المغلوب علي أمره .

ويعتمد الشاعر في بنائه الفني للقصيدة علي المفارقة التكرارية ، فتصويره لهذه المفارقة قد اتخذ أنماطا من التكنيك الفني المتبع لدى الشاعر في تصويره للمفارقات .

الأول : هو التدرج في تصوير المفارقة للوصول بها إلى العقدة ثم النهاية.

الثاني : تكرار المفارقات لتعميق الحدث والوصول به إلى العقدة .

الثالث : مفاجأة القارئ بغير ما يتوقع .

ونجد التدرج والتكرار للمفارقة في هذه المفارقات :

يشتمني ويدعي ...

يلطمني ويدعي ...

يطعنني ويدعي ...

فالتناقض واضح بين كون صاحب العدوان معتديا ظالما ، وكونه في الوقت نفسه مدعيا للحق طالبا له ، مظهرا نفسه في صورة الضعيف المعتدى عليه . وهو مثال كذلك للمفارقة في الجانب الواحد مما يدل علي مدى اضطرابه وفساده(*)، وهنا نصل إلى العقدة والحبكة الفنية حيث يبلغ الظلم مداه ، ويحتكم المظلوم إلى القانون ويطلب عدله وإنصافه، ورغم أن القانون هو رمز الحق والعدل والإنصاف فإنه يزور(**) نحو واضعه جانبا ، ويميل إليه ليقف في صف السلطة الغاشمة الظالمة ليكون عونا للظالم علي المظلوم، وهنا يأتي الشاعر إلى النهاية حيث اللحظة التنويرية الكاشفة التي يكشف فيها عن سر تلك المفارقة العجيبة بتلك

(*) ستأتي أمثلة ذلك في الإطار الثامن.

(**) يزور أي يميل .

التورية اللطيفة ، وهي أن : (من يملك القانون) في أوطاننا هـــو الذي يملك حق عزفه !

* * *

من هذا النوع أيضا وهو المفارقة ذات الحبكة تأتي قصيدة (جواز)[٤٥] حيث تبدو المفارقة واضحة بين البدء الختام ، ولكن الشاعر يسلك التكنيك الفني السابق المعتمد علي التدرج والتكرار في المفارقـــة حيث يقول :

جواز

قال : إلهي .. إنني لم أحفظ السنة
و لم أقدم لغدي
ما يدفع المحنة
عصيت ألف مرة
وخنت ألف مرة
وألف ألف مرة
وقعت في الفتنة
لكنني ..

---

(٤٥) لافتات (٥/٥٨) .

ومنك كل الفضل والمنة

كنت بريئا دائما

من حب أمريكا

ومن حب الذي يحب أمريكا

عليها وعلي آبائها اللعنة

هل لي من شفاعة ؟

قيل : ادخل الجنة !

فالشاعر يتدرج في بيان وصول شخصيته إلي أقصى حالات العصيان والافتتان من تضييع السنة والتلهي عن الآخرة ، والعصيان المتكرر ألف مرة ، والخيانة المتكررة آلاف المرات، والوقوع في الفتنة ، بما يصل بنا إلى عقدة فنية تتمثل في البحث عن سبيل النجاة والخلاص بعد هذا الضياع .

وينسج الشاعر خيوط النهاية السعيدة التي تنتهي بدخول الجنة لهذا الشخص الذي بلغ غاية العصيان .

ويكشف لنا الشاعر عن سر هذه المفارقة بأن ذلك العاتي في العصيان كان دائما بريئا من حب أمريكا، ومن حب الذي يحب أمريكا ليصل إلى مغزاه من قصيدته تلك ذات المفارقة المحبوكة التي

هي أشبه برواية ذات حبكة يخرج منها القارئ بمغزى عظيم ، وهذا المغزى في قصيدة أحمد مطر هو الإيحاء بأن أمريكا هي مصدر الشر في هذا العالم ، وأنها هي وأعوانها الطاغوت الأكبر الذي يجب علي المسلم أن يتقرب إلى الله بالتبرؤ منه .

وإذا كانت المفارقة في هذه القصيدة تعتمد علي الحبكة والتكرار وتركيب المفارقات الجزئية فإنها تعتمد أيضا علي عنصر المفاجأة أو الخداع للقارئ حيث تفاجئ المتلقي بغير ما يتوقع ، حيث إن المتوقع في حق ذلك الآثم العاصي الذي بالغ الشاعر في وصفه بالعصيان أن يدخل النار ولكن الشاعر يفاجئ بتلك النهاية السعيدة بدخوله الجنة .

ومن هذا النوع أيضا الذي يعتمد على الحبكة الفنية قصيدة (القبض على مجنون ميت)[٤٦]

القبض علي مجنون ميت

لاح يا مسجد النور

علي غير انتظار

يلهب الموكب بالعزم

---

(٤٦) لافتات (١٥٦/٢) .

ومن عينيه ينثال بريق الانتصار

راكضا بين الجموع

هاتفا : أهلكنا سيف الخضوع

لا رجوع

لا رجوع

آن للجائع أن يشهر للمتخم سيفه

آن أن يشطره نصفين

كي يأكل عند الجوع نصفه

ثم يرمي نصفه الثاني

طعاما للضواري !

* *

قبل بدء الانتشار

طرأت في ساحة المسجد قوات النلوارى

هطل الموت رصاصا

وعصيا

وحجارة

وعلت في هامة الأفق

سحابات دخان وغبار
وأطل الليل من ثوب النهار .
وتلفت
فلم ألمح صديقي بجواري
* *

مضى اليوم
لما أقبل الليل
تهادى نحو داري
حاسر الرأس ، جريحا نصف عار
طرق الباب ونادى هامسا
((ياللي هنا . دستور))
ناديت : حذار
ألغى الدستور والشعب
بمرسوم وزاري
أبتلع صوتك وادخل
قبل أن يفطن جاري ..
آه من فطنة جاري

إنه كلب حضاري

مرن .. يعقر في وضع يميني

وفي وضع يساري

شفرة

تحلق .. أو تذبح

حسب الاختيار

فهو قواد لدى بعض فئات الشعب

في الليل

وقواد لدى السلطة أثناء النهار

**

قال في شبه اعتذار

حسنا .. لذت سريعا بالفرار

لا تؤاخذني

ففي أيامنا كنا إذا كنا نجوع

نشهر السيف وننفى في البراري

لم يكن في عهدنا عوم بأنهار المجاري

لم يكن في عهدنا غاز مسيل للدموع

أو هراوات تجر القلب
من خلف الضلوع
أو رصاص يأكل الجائع
حتى لا يجوع
أنا لم أشهر هنا غير الخطى
سرت علي صمت وفي كفي شعاري
هل يعد المشي وجها ثانيا للانتحار
عجبا من سلطة
تذبحني
ثم تقاضيني
إذا أعلنت للناس احتضاري
**

بعد يوم
داهم الشرطة داري
ثم قادونا إلى محكمة الأمن
وألقى الناهق الرسمي منطوق القرار :
داهم الشرطة وكرا للقمار

ولدى الضبط

رأوا فتى يقرأ قرآنا

ومجنونا جريحا نصف عار

يدعى أن اسمه كان وما زال

((أبو ذر الغفاري)) !

* * *

الإطار السادس

بين المباشرة والمخادعة

تتنوع المفارقات عند مطر بين المفارقة الواضحة المنكشفة وبين المفارقة المخادعة التي يجتهد في الاحتيال علي القارئ بإخفائها في صور شتى ، وقد يفاجئه في نهاية قصيدته ببيان المعنى الذي أخفاه في غضون أبياته ، أو يدع القصيدة لغزا ممتعا للقارئ يدعوه إلى معاودة قراءة القصيدة مرات ومرات لحل اللغز أو للتمتع بطرافته ، غير أنه لا يدع المفارقة في أغلب الأحيان دون كشف معناها إلا حيث يكون اللغز سهلا أو ليس شديد التعقيد ، أو بعد أن يترك للقارئ في قصيدته بعض الكلمات الكاشفة ، المعينة للقارئ علي حل هذا اللغز وكشفه .

وإنصافا للشاعر فإننا نقول إنه حينما يبتعد عن الرمزية والخفاء ، ويجنح إلى الوضوح والتقريرية فإنه ينجح في توظيف تلك التقريرية للغرض الذي ساق المفارقة لأجله ، كما أنه لا يفوته كذلك أن يدعهما بالعديد من الوسائل الفنية المتعددة التي تجعل تلك التقريرية في عرض المفارقة مقبولة وسائغة لدي القارئ .

وسوف نبدأ أولا في عرض بعض أمثلة المفارقة التقريرية أو المباشرة التي أجاد الشاعر في عرضها وإن كانت أكثر المفارقات التي سبق ذكرها في الأنماط السابقة يمكن إدراجها في هذا النوع كذلك.

المفارقة المباشرة أو المنكشفة :-

من أمثلة المفارقة المنكشفة أو التقريرية عند شاعرنا قصيدته: (إلى من يهمه الأمر) وهي ما يمكن أن نضع لها عنوانا آخر أقرب إلى طبيعة المفارقة وهو(بين النائحة الثكلى والمستأجرة)

يقول الشاعر :

إلي من يهمه الأمر(٤٧)

يوقد غيري شمعة لينطق الأشعار نيرانا

لكنني .. أشتعل بركانا !

ويستدر ليغرق الأشعار أحزانا .

لكنني أذرف طوفانا !

شتان ...

غيري شاعر ينظم أبياتا

---

(٤٧) لافتات (٥/٥) .

ولكني أنا .. أنظم أوطانا

وعنده قصيدة تحمل إنسانا

كل معانيه علي مقدار ما عانى .

للشعراء كلهم

شيطان شعر واحد

ولي بمفردي أنا .. عشرون شيطانا

الشعر عند الشاعر الملتزم رسالة تحمل الهداية للعالم ، وثورة على أوضاع الفساد والطغيان بشتى صوره ، ومن ثم فهو صرخة نائحة ثكلى ، تتقطع حسرة وأسي علي المفقود من الأمجاد ، تدوى صرخاتها في قلوب الرجال حفزا للثأر ودرء النصر .

وشاعرنا لا يفتأ يلهج بالشكوى المريرة من واقع الفساد ، باعثا للهمم ومهيجا للنفوس ، فهو ثائر لا تهدأ له عزيمة ، وبطل لا تلين له عريكة ، وينظر الشاعر في هذا الواقع المرير نظرة استصغار واحتقار لأولئك الشعراء الذين يعيشون في أبراج عاجية بعيدين عن واقع شعوبهم ، وهموم بلادهم .

ويصور لنا في هذه الأبيات تلك المفارقة العجيبة بين حالته الشعورية الملتهبة التي هي أساس تجربته الصادقة ، وبين حال

أولئك الشعراء الذين لا يعدو شعرهم مجرد كلمات جوفاء لا تحمل مضمونا ، وليست لها رسالة أو غاية نبيلة .

غيري شاعر ينظم أبياتا

ولكني أنا ... أنظم أوطانا.

إنه التوحد بين القول والعمل ، بين الغاية والوسيلة ، فبينما ينظم الشعراء أبياتا لا هم لهم فيها سوى قرض الشعر ونظمه فإن لشاعرنا غرضا آخر من نظمه ، إنه دعوة لنظم هذا الوطن ، وجمع ما تناثر منه وتفرق وتشرذم بعيدا عن غايته، تلك هي أساس المفارقة بينه وبين غيره من الشعراء ويتفنن شاعرنا في إبراز تلك المفارقة وتعميقها بصور شتى يزيد بها أبعاد المفارقة ، لتزداد القضية وضوحا وجلاء .

فإذا كان غيره يوقد شمعة ، فهو يشتعل بركانا .

وإذا كان الآخر يستدر ليغرق الأشعار أحزانا ، فهو طوفان يذرف.

ولا يكتفي الشاعر بتلك الصور والألفاظ المجازية التي تعبر عن المفارقة بينه وبين غيره من الشعراء حتى يلجأ إلى التعبير عن تلك المفارقة بالتصريح والحقيقة بلفظ : شتان ...

والشاعر يتدرج بتلك المفارقات إلى بيت القصيد ، ولب القضية ، وأساس المفارقة الذي وضحناه آنفا وهو كون الشعر رسالة لهـــا غاية لا مجرد أبيات وكلمات.

ويكشف الشاعر عن سبب تلك المفارقة ، وهو أن كل إناء ينضح بما فيه فكل شاعر تأتي قصيدته معبرة عنه وعن معاناته .

وتلك المعاناة هي التي تلهم الشعراء ، وتدفعهم إلى القريض.

وإذا كان القدماء قد عبروا عن تلك المعاناة بفكرة (شيطان الشعر) فمن هنا يقرر شاعرنا أن للشعراء كلهم شيطان شعر واحد

ولي بمفردي أنا .. عشرون شيطانا !

ونخطئ إذا فسرنا ذلك علي أنه نوع من المباهـ ـاة أو المفـــاخرة بالباطل أو نوع من الزهو و الغرور و الزعم بالتفرد الشعري مـــن قبل شاعرنا .

لأننا نرى أن التفسير اللائق ببناء القصيدة ووحدتها العضويـــة أن المقارنة هنا بين الشاعر وغيره من الشعراء ليست لادعاء التفـــرد وجودة الأداء ، وإنما هي تعميق لفكرة المفارقة بينه وبين غيره مـــن الشعراء في رسالة الشعر وغايته.

فالشعراء جميعا لهم واد واحد لا يردون غيره فهم يقفون بهمومهم عند حاجات ذواتهم وهمومها وهي مهما تشعبت فهي من واد واحد ، أما شاعرنا فأوديته عديدة ، تتعدد بتعدد ما يحمل من هموم أمته ووطنه الممزق. ومن ثم نستطيع القول بأن المفارقة هنا وإن كانت تبدو لأول وهلة من نوع المفارقة الواضحة أو التقريرية حيث بدأها الشاعر بعقد المقارنة الكاشفة عن تلك المفارقة بينه وبين غيره من الشعراء فإنه استطاع بعد ذلك تعميق تلك المفارقة بتصويرها في مفارقات متعددة تبعدها عن التقريرية والوضوح وتجعلها أقرب إلى التصوير المجازي ، وإن كانت الفكرة العامة في القصيدة وهي إبراز المفارقة بين الشاعر – احب الرسالة وغيره من الشعراء الناعقين بالشعر – تبدو واضحة ومنكشفة في القصيدة من أولها إلى آخرها.

ومن أمثلة المفارقة التقريرية أو المنكشفة تلك القصيدة الذي صدر بها الشاعر ديوانه الأول من اللافتات حيث يقول :

مدخل[٤٨]

سبعون طعنة هنا موصولة النـــزف

تبدى .. ولا تخفي

تغتال خوف الموت في الخوف

سميتها قصائدي

وسمها يا قارئي : حتفي !

وسمني .. منتحرا بخنجر الحرف

لأنني ، في زمن الزيف

والعيش بالمزمار والدف..

كشفت صدري دفترا

وفوقه

كتبت هذا الشعر .. بالسيف !

وتبدو المفارقة هنا تقريرية واضحة حيث يعلن الشاعر عن تلـــك المفارقة بنوع من الإفصاح والتقريرية حيث يكشف عن المفارقـــة بين كون شعره قصائد ، وكونه في الحقيقة سبب حتفه وهلاكـــه ويخفف من هذه التقريرية التي تقرب تلك المفارقة مـــن النـــوع

(٤٨) لافتات (١/٥) .

التقليدي-يخفف منها ويجعلها مستملحة-ابتداء الشاعر بوصف قصيدته بتلك الأوصاف المجازية التي تجعلها شبيهة باللغز الذي يحتاج إلى جواب (سبعون طعنة هنا .. إلخ)

ولأن سمة الوضوح تغلب على شعر أحمد مطر فهو لا يكتفي بذلك الإعلان عن قصائده بأنها سبب حتفه حتى يمضي في تعليل ذلك لنا بقوله : لأنني ... إلخ .

وقد اتخذ الشاعر من ذلك الأسلوب التصريحي التقريري أداة تعبيرية تتناسب كل التناسب مع طبيعة الثورية المتجرئة التي تعتمد الإعلان والإفصاح وسيلة أساسية لكشف فساد هذا الواقع.

من أمثلة المفارقة التقريرية المكشفة أيضا في شعر أحمد مطر قصيدته: (صدمة)[٤٩]:

شعرت هذا اليوم

بالصدمة

فعندما

رأيت جاري قادما

رفعت كفي نحوه

---

(٤٩) لافتات (١/١٢٨) .

مسلما
مكتفيا بالصمت والبسمة
لأنني أعلم أن الصمت
في أوطاننا ..حكمة
لكنه رد علي قائلا :
عليكم السلام والرحمة
ورغم هذا
لم تسجل ضده تهمة !
الحمد لله على النعمة
من قال ماتت عندنا
حرية الكلمة !

يبدأ الشاعر بهذا العنوان ثم بإعلان صريح آخر يكشف أن ثم مفارقة كبيرة حيث يقول : شعرت هذا اليوم بالصدمة
ثم يبدأ في الكشف عن أبعاد تلك المفارقة وهي أن صديقه قد رد عليه السلام بالصوت لا بالصمت ورغم ذلك لم تسجل ضده تهمة.

وفي الحقيقة أن هذا ليس مفارقة بل ليس غريبا بالمرة ولكنه في ظل واقع الفساد الذي يكمم الأفواه يصبح أمرا غريبا وضربا من التناقض جديرا بالتسجيل .

والشاعر يصور لنا هذا المشهد بطريقة كاريكاتيرية ساخرة ليبرهن بها على مدى ما وصل إليه واقع الفساد في بلاده ، وليكشف لنا عن مفارقة حقيقية وهي أن يصبح إلقاء السلام أو رده دليلا علي حرية المواطن .

ويخفف من تقريرية المفارقة هنا ويجعلها مقبولة أن الشاعر قد اعتمد علي عنصري المفاجأة والإثارة حيث بدأ قصيدته بتلك المفارقة بصورة مفاجئة للقارئ مستدعية فضوله لمعرفة تفاصيل تلك الصدمة المعلن عنها في مطلع القصيدة ومن ثم يمكن إدراج هذه القصيدة كذلك ضمن ذلك النوع من المفارقات الخداعة .

المفارقة الخداعة

من المفارقات الجيدة عند مطر ذلك النوع الذي يمكن أن نسميه بالمفارقة الخداعة وهي تلك المفارقة التي يعمد فيها الشاعر إلى التمويه علي القارئ بإخفاء التناقض أو نفيه بطريقة أو بأخرى، أو عرضه في صورة رمز لتكون مهمة القارئ في كل هذه الأحوال

هي الوصول إلى هذا التناقض وتقريره بنفسه بطريقة تعتمد علي المفاجأة، وإثارة الدهشة أو بإثارة الذهن وإعماله .

(ولا شك أن المفارقة تقترن بنوع من الدهشة ، والتعجب والحيرة وإدراك التناقض بين ما هو كائن وما يجب أن يكون)[٥٠]

ويري الدكتور يحي هويدى " أن الدهشة عماد التفلسف ، كما أنها عماد العلم والفن على السوء ..والدهشة في لفلسفة أو الفن أو العلم تستلزم التوقف أو عدم الانسياق الذي يؤدي بدوره إلى التأمل [٥١]

ويمكننا أن نقف في هذا النوع من المفارقات الخداعة علي صور متعددة لمفاجأة القارئ وخداعه والتمويه عليه في عرض المفارقات فمن هذه الصور :

الصورة الأولى : الإثبات بطريقة النفي :

في هذه الصورة يدعى الشاعر عدم وجود التناقض مصرحا بذلك بالمبالغة في نفيه بطريقة ساخرة ليتوصل من جراء ذلك إلى إثباته بطريقة أبلغ في الإثبات من الاعتماد علي الأسلوب التقريري

---

(٥٠) د/ حسنى عبد الجليل / المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي ص١٣

(٥١) مقدمة في الفلسفة : ٣٣

المباشر ،لأنها تجعل القارئ هو الذي يحكم بذلك التناقض وتلك المفارقة من خلال هذا النفي نفسه ، ومن خلال طريقة العرض الساخرة للتناقض العجيب في هذا الواقع الذي يريد الشاعر أن يقرره القارئ بنفسه ؛

من الأمثلة الجيدة لهذا النوع من المفارقات قصيدة : (إشاعات مغرضة)[٥٢]:

إشاعات مغرضة

ليت شعري

أي كذاب جبان

يدعى أن بلادي

تكره الصوت وتغتال الأغاني ؟!

ولعمري

من ترى قال بأن الشعر ممنوع

وأن الشاعر الحر يعاني ؟

حاش لله

فمازلت أغني

---

(٥٢) لافتات (١٠٦/٢) .

والحكومات إلى صوتي تصغي
والحكومات تراني
وأنا مازلت أحيا رغم هذا
في أمان.
هاكم الآن مثالا :
(يا حبيبي عد لي تاني .
إنت عمري اللي ابتدا بنورك صباحه
أنت عمري .
خدري .. خدري الشاي خدري
مر ظبي وسباني)!
أرأيتم ؟
ها أنا عبرت عن رأيي
وغنيت
.. و لم يقطع لساني !

فالشاعر يبدأ القصيدة بالتعجب من القول بأن بـــلاده تصـــادر الحريات ، وتمنع التعبير عن الرأي ، ويجعل ذلك مجـــرد دعـــاوى فارغة أو إشاعات مغرضة كما عنون بذلك القصيدة ، ويفهم من

ذلك بالطبع نفي الشاعر لتلك الدعاوى والإشاعات ثم يقدم لنا الشاعر بعد ذلك الأدلة والبراهين علي ما يقرره من نفي القهر والكبت ومنع الحريات في بلاده ، فالشاعر إذا يقرر نفي تلك المفارقة الواقعة بين ما ينبغي أن يكون عليه دور الحكومات من حماية الحريات، وإتاحة الفرصة لكل مواطن للتعبير عن رأيه والمطالبة بحقوقه وبين ما هو واقع بالفعل من كبت حرية التعبير ومنع أصحاب الرأي من رفع أصواتهم بالتعبير عن آرائهم بأي صورة كانت من شعر أو غناء ... إلخ .

ولكن تأتي المفاجأة للقارئ بمفارقة جديدة مضحكة ساخرة ، وهي أن الأدلة التي يقدمها الشاعر لتبرئة الحكومات والمسئولين هي عند القارئ الذي يشارك الشاعر قضيته وهمومه هي بعينها أبلغ الأدلة لإدانة تلك الحكومات باغتيال الحريات وقهرها، وذلك لأن تلك الأصوات التي سمح لها بالظهور والارتفاع ما هي إلا تلك الأصوات الهابطة التي أحسن توظيفها لشغل الناس عن قضاياهم وهمومهم والتعبير عن آرائهم والمطالبة بحرياتهم المسلوبة ، ومن ثم فإننا نرى أن هذا الأسلوب الذي استخدمه الشاعر في عرض المفارقة هو أشبه بما سماه البلاغيون قديما بالمدح الذي يراد

به الذم. وينجح الشاعر من خلال هذا الأسلوب في أن يجعل القارئ هو الذي يكتشف ذلك التناقض بنفسه من خلال ذلك العرض الساخر الذي يجعل ذلك التناقض وتلك المفارقة الواقعة تتقرر في نفس القارئ بصورة أكثر تأكيدا وثباتا وأكثر بعدا عن العرض التقريري المباشر .

الصورة الثانية : الجمع بين التقريرية والمخادعة

هذه الطريقة تعتمد كذلك علي التمويه علي القارئ في عرض المفارقة ومفاجأته،وجعله يقررها بنفسه كالصورة السابقة، ولكنها تختلف عن سابقتها في أن الشاعر يجمع فيها بين الطريقة التقريرية المباشرة فى إثبات المفارقة علي سبيل الإجمال ثم يعود ليخطئ نفسه في إثبات المفارقة ويدعى خطأه في تصورها ويبالغ في نفيها بالطريقة الساخرة السابقة نفسها .

ومن الأمثلة علي تلك الطريقة في تصوير المفارقة قصيدة: (صدمة)[٥٣] حيث يبدؤها الشاعر بتقرير المفارقة من عنوانها ومن أسطرها الأولى حيث يقرر المفارقة الحادثة بين ما ينبغي أن يكون عليه الناس

(٥٣) سبق إيرادها، وهي في اللافتات (١/١٢٣) .

من الأمن في أوطانهم وبين ما آل إليه الحال من خوفهم من أن يسلم بعضهم علي بعض ولو بمجرد إلقاء كلمة السلام بطريقة عابرة .

هذا الذي آل إليه أمر الناس صار طبيعيا ومألوفا ليس فيه أدنى غرابة ولا يبعث علي أدنى تعجب أو تساؤل ، بل علي العكس من ذلك صار ما يخالف ذلك ولو في أدنى صورة هو الشيء الباعث علي العجب والدهشة الشديدة التي تصدم النفوس ، ومن ثم يقرر الشاعر هذه المفارقة العجيبة بطريقة تقريرية مباشرة ولكنها بليغة في الوقت نفسه حيث يقرر أنه قد حدثت له صدمة نفسية لرؤية هذا الأمر الطارئ الغريب المتناقض مع هذا الواقع،وهو رد صاحبه عليه السلام بالنطق لا بمجرد الصمت والإيـ امة .ويمضي الشاعر ليعرض تفاصيل هذه الصدمة بطريقته الساخرة لينتهي من خلال عرضه ذلك إلى ادعاء إثباته أن حرية الكلمة متاحة في بلاده و لم تمت بعد ، وكأنه قد قدم لنا من خلال ذلك العرض الساخر لتلك الصدمة المفاجئة له برد صاحبه عليه السلام – الأدلة والبراهين علي نفي التناقض أو المفارقة بين ما ينبغي أن يكون من حرية الكلمة وبين ما هو واقع فعلا من تكبيل الحريات وتكميم الأفواه

وينجح الشاعر في أن يجعل القارئ هو الذي يقرر تلك المفارقة بنفسه التي يحاول الشاعر ادعاء عدم وجودها بطريقة النفي الساخر التي اعتادها في تصويره مفارقاته ليحدث نوعا من المزج الجيد بين التقريرية أو المباشرة التي بدأ بها قصيدته والتمويه أو محاولة إخفاء المفارقة التي اختتم بها القصيدة بما يبعدها عن التقريرية أو يسوغ قبولها.

والشاعر إذ يخفي المفارقة الحقيقية ليدعو القارئ إلى تقريرها بنفسه، فإنه يصطنع مفارقة أخرى غير حقيقية مقابلة للمفارقة السابقة يدع القارئ بنفسه هو الذي يكتشف زيفها وعدم صحتها وهي المفارقة بين شعوره بالصدمة الدال على اعتقاده بعدم وجود الحرية ، وما يقرره بأسلوب السخرية من حمد الله على وجود نعمة الحرية وعدم موتها .

ولكن يبقى الأسلوب الساخر قرينة للقارئ علي أن هذه المفارقة ليست حقيقية ، وأن المفارقة الأولى التي يحاول الشاعر إخفاءها في أسلوب شبيه بأسلوب التورية هي المرادة أو هي المعنى البعيد الذي يرمى إليه الشاعر.

الصورة الثالثة : المفارقة الرمزية

ثمة صورة أخرى من صور خداع الشاعر لقارئه في عرض المفارقة ، وهي أن يلجأ الشاعر إلى عرض المفارقة في صورة لغز يشتمل علي رمز ما يطلب حله والتوصل إليه ، ويعرض الشاعر لهذا الرمز معنيين : أحدهما قريب بمثابة الشرك للقارئ ليخدعه به عن المعنى المراد ، والآخر بعيد لا يكشف عنه الشاعر إلا في آخر القصيدة ليجعله كالمفاجأة للقارئ مما يدعوه إلى إعادة حساباته في فهم القصيدة ، والمسارعة إلى إعادة قراءتها وفهمها من خلال المعنى الذي يكشف عنه الشاعر مؤخرا .

وهذه الطريقة يفيد فيها الشاعر من فن التورية في البلاغة القديمة أكبر وأوضح من الصورة السابقة ، بما يعد تجديدا لهذا الفن وإعادة توظيفه بصورة عصرية .

نجد هذه الطريقة علي سبيل المثال في قصيدتي :(**اللغز**)[٥٤] وقصيدة: (**فوق العادة**)[٥٥]

---

(٥٤) لافتات (٢٢/١) .

(٥٥) لافتات (٤٤/٤) .

اللغز

قالت أمي مرة

يا أولادي

عندي لغز

من منكم يكشف لي سره ؟

(تابوت قشرته حلوى

ساكنه خشب ...

والقشرة

زاد للرائح والغادي)

قالت أختي : (التمرة)

حضنتها أمي ضاحكة

لكني خنقتني العبرة

قلت لها :

بل تلك بلادي !

فالشاعر يخدعنا باللغز وبمعناه القريب وهو التمرة عن المغزى البعيد والمفارقة الحقيقية بين ما آل إليه حال بلاده وبين ما ينبغي أن تكون عليه البلاد من أن يكون خيرها لأهلها ، لا أن تكون زادا

للرائح والغادي . هذه الطريقة الرمزية في عرض المفارقة هي مـــا نراه أيضا في قصيدة (فوق العادة)[٥٦]

فوق العادة:

أكتب عن عاهرة

..عاهرة مصون !

خائنة .. مخلصة

قاسية.. حنون !

تشرع باب ليلها

وسابحات خيلها

لعاصف الجنون

وبعد أن تنخلع الركاب والمتون

وتسقط الحصون

تبحث عن قرض لكي

تدفع للزبون !

* *

أدفع عمري للذي

---

(٥٦) لافتات (٤٤/٤) .

يعرف من تكون !(٥٧)

* * *

الشاعر هنا يقصد بلاده كذلك ، ولكنه لا يصرح بالحل أو بالمعنى البعيد كما فعل في قصيدته السابقة ، وذلك لأنه وضع في هـــذه القصيدة بعض القرائن التي تساعد القارئ علي الحل مثل : القرض والدفع والحصون .. إلخ .

وتختلف هذه المفارقة أيضا عـــن المفارقـــات الســـابقة ، في أن المفارقات السابقة كان الشاعر يكتفي فيها بعرض وتصوير أحـــد جانبي المفارقة ، ويترك الآخر للقارئ لبداهته وغناه عن التعريـــف والتوضيح ، فالأصل أن ينعم الناس في بلادهم بالحرية ، والأصـ ـل معروف للقارئ لا يحتاج إلى توضيح لأنه مستقر في الأذهـــان ، ولذا يكتفي الشاعر بعرض الجانب الآخر من المفارقة ، ومـــن ثم تبدو المفارقة بين المثال المستقر في الذهن وبين الواقع القائم .

أما في هذه المفارقة فقد عرض الشاعر كلا جانبيها حيث تبـــدو المفارقة بين تقدم هذه العاهرة كل ما يطلب منها لطالب المتعـــة ،

(٥٧) لافتات ٤/٤٤ _٤٥

ثم هي بعد ذلك التي تدفع للزبون ، بل تبحث عن قرض لكي تدفع له .

والشاعر هنا يصور المفارقة الواضحة في حال بلاده مع مستغليها المنتهبين لخيراتها دون أن تحصل منهم علي شيء بل يكونون سببا في استدانتها لكي تدفع تكاليف استمتاعهم بها ، وانتهابهم لخيرها.

ومن ثم ينتظم تلك المفارقة الكبرى عدد من المفارقات الجزئية التي تتلاحم معا في تشكيل تلك المفارقة ، فهي خائنة مخلصة ، قاسية حنون .. إلخ .

فهي قاسية خائنة لأهلها ، حنون مخلصة للغرباء عنها .

وهذا كا بعمق المفارقة الكبرى التي توقف على حقيقة مزعجة وهي أن بلادنا ليست لنا .

ومن أمثلة المفارقة الرمزية أيضا : قصيدة (تمرد)[٥٨]

تمرد :

هتف الحائط : يكفي .

رأسك اندق .

وقلبي تحت رجليك انفطر .

---

(٥٨) لافتات (٥/١٠٦-١٠٨) .

أنت مضطر ؟!

تمرد ..

لو تمردت فهل أكثر من هذا الضرر.

نحن مخلوقان كي نحضن شباكا وبابا .

ولكي نحمل رفا وكتابا .

ولكي نحمي الأسر .

نحن يا مسمار لم نخلق لتعليق الصور .

هبطت مطرقة ..

راوغها المسمار ،

أدنته ،

تنحي ،

هبطت ،

راغ ،

أصابته ،

تلوي ،

هبطت ،

قام قليلا ..وانكسر

- خارج المترل كانت صورة الغر الأغر
- فوق أعناق الجماهير
- وما بين أياديهم
- وفي كل ممر
- والهتافات له هاطلة مثل المطر .
- ضحك الحائط :
- لا نرضي بأن نحمل عارا!
- وإذا ، يوما ، حملناه اضطرارا
- ذي البشر . فعلى أي
- ألف شكر لك يا رب، على أن
- حديد وحجر!

في هذه القصيدة يعرض الشاعر رمز القهر من خلال هـذه الصورة الرمزية للمطرقة التي تدخل في صراع مع مسمار يراوغـها ، ويحاول الإفلات منها لكي لا يحمل صورة الباطل ، وتكون النهاية هي انكساره راضيا بتلك النهاية المشرفة ، شاكرا الله على أنه من حديـد وحجر وليس من البشر الذين يحملون صورة الباطل فوق أعناقـهم ،

وهذه هي حقيقة المفارقة في القصيدة التي استطاع الشاعر أن يصورها في صورة رمزية.

- كما تظهر المفارقة الرمزية كذلك بصورة واضحة في قصيدة :

وحملوها..وطارت في الهوا الإبل.(٥٩)

إبل جاءت على متن الأثير

وبغال ، وحمير

وخيام

رملها يتبعها جوا .

..وحاديها أمير!

وإلى أين المسير ؟

نحو أوربا .

وماذا سوف تعمل

ليرى الغرب المضلل

صورة الإسراء والمعراج حرفيا

فإن طار البعير

كيف لا يعقل أن يسري حصان ..أو يطير ؟!

---

(٥٩) لافتات (٢/١٨٦-١٨٧) .

ورأي الغرب المضلل

صورة الكفر المحلل

ورأي حراس بيت المال

يبتزون شعبا يتسول !

ورأي دون عناء

كيف يغدو ذهبا دمع الفقير !

ورأي كيف يصير

جلد من ماتوا جياعا

فوق رمضاء الهجير

مروحات ..وعباءات حرير !

ورأي طائرة تهبط خلف الركب

في داخلها ..نعش الضمير !

الصورة الرابعة : التورية الحقيقية

في هذه الصورة يستخدم الشاعر أسلوب التورية استخداما حقيقيا بصورته التقليدية في البلاغة القديمة ليستعين به في تصوير المفارقة من أمثلة ذلك قصيدة ثورة الطين:

ثورة الطين[٦٠]

وضعوني في إناء

ثم قالوا لي : تأقلم

أنا لست بماء

أنا من طين السماء

وإذا ضاق إنائي بنموي

.. يتحطم !

**

خيروني

بين موت وبقاء

بين أن أرقص فوق الحبل

أو أرقص تحت الحبل

فاخترت البقاء

قلت : أعدم

فاخنقوا بالحبل صوت الببغاء

وأمدوني بصمت أبدى يتكلم !

---

(٦٠) لافتات (٣٣/١) .

يظهر استخدام التورية استخداما صريحا تقليديا في قوله :

فاخترت البقاء

فالبقاء هنا له معنيان قريب وبعيد ، فالقريب هو الحياة وهو ضد الموت ، وقد رشح الشاعر لهذا المعنى القريب من قبل حيث قال :

خيروني

بين موت وبقاء

ولكنه يريد من البقاء معناه البعيد وهو البقاء الأبدي الذي لا يتحقق إلا بالموت ، وهذا البقاء هو البقاء الحقيقي وهو ما يريده الشاعر ويبحث عنه .ولكن الشاعر لا يدع القارئ حائرا في تحديد المعنى المراد خاصة وقد رشح له المعنى القريب من قبل ، فيتبع هذه التورية بما يكشف عن معناها المراد بقوله :

قلت : أعدم

فاختنقوا بالحبل صوت الببغاء

وأمدوني بصوت أبدي يتكلم .

والمفارقة هنا ليست مفارقة أحادية الجانب كالمفارقات السابقة ولكنها مفارقة بين واقعين بين حياة الذلة والمهانة والتبعية المقيتة للباطل ، وبين حياة العزة والخلود الأبدى ممثلة في الموت في سبيل

الحق والكرامة . ويأتي أسلوب التورية لإخفاء المفارقة بإخفاء الجانب الثاني من جانبيها، ولكن يعود الشاعر في الكشف عنه وتوضيح الأمر للقارئ في أسلوب رائع يجمع بين التورية والتمويه تارة والتقريرية التي أحسن تصويرها وعرضها تارة أخرى.

الصورة الخامسة :مفارقة المفاجأة :

وهي المفارقة التي يخفي الشاعر فيها جانبا من جوانب المفارقة ليفاجأ به القارئ في النهاية .

ومن أمثلته قصيدته (**يمدح شاعرا**)

وقال يمدح شاعرنا(٦١)

احفظه يا ألله

لم يبق لي إلاه .

أنا وحيد ..يائس ..مستوحش لولاه .

هو المواسي وحده في وهدة المأساه

كل رفاق الشعر ماتوا ترفا .

فبعضهم منبطح أعلاه

يبكي على ليلاه

---

(٦١) لافتات (٥/٩٣) .

وبعضهم منبطح أدناه .

يحكي لدى مولاه والبعض ما بينهما .

يهرق جاه شعره من أجل بعض الجاه .

هم كلهم تطوعوا .

لخدمة الإكراه !

ومارسوا فعل الخنا

لكن من الأفواه !

إلا الفتى إياه

هو الفتى مهما أتى وكلهم أشباه

هو ابتغى أن يجلد البـ معى .

وهم مضوا كل إلى مبغاه

لم يتنكر مرة لصحبتي ..

حاشاه

و لم يخف أن يبتلى بتهمتي

حاشاه

مات معي و لم يزل ..من فرط ما أحياه !

إذا تأوهت أنا

شاركني في الآه
وإن جرت مدامعي
ترقرقت عيناه
وإن تشوقت إلى لقائه
فدون أطلبه ألقاه
ليس علي غير أن
أنظر في المرآة !

فقي هذه القصيدة يفاجئنا الشاعر في النهاية بأن الشاعر الممدوح ، والفتى المقصود هو شاعرنا نفسه ، مما يدل على اعتقاده انعدام هذا النوع من الشعراء أصحاب الرسالة الهادفة .

ومن هذه المفارقات المفاجئة أيضا : قصيدة (تقويم إجمالي)[٦٢]

تقويم إجمالي
سألت أستاذ أخي
عن وضعه المفصل
فقال لي : لا تسأل
أخوك هذا فطحل !

(٦٢) لافتات (٥/٩٧) .

حضوره منتظم

سلوكه محترم

تفكيره مسلسل

لسانه يدور مثل مغزل

وعقله يعدل ألف محمل

ناهيك عن تحصيله

ماذا أقول ؟ كامل ؟

كلا ..أخرك أكمل

ترتيبه يا سيدي يجيء قبل الأول !

وعنده معدل أعلى من المعدل !

لو شئتها بالمحمل

أخوك هذا يا أخي ليس له

مستقبل !

في هذه القصيدة كذلك يفاجئنا الشاعر بعكس ما نتوقع ، حيث نتوقع لهذا التلميذ مستقبلا باهرا، ولكن تأتي النتيجة المفاجئة لإبراز المفارقة (أخول هذا يا أخي : ليس له مستقبل)

ومن هذا النوع كذلك قصيدة (المتكلم) حيث نفاجأ في نهايتـــها بأن المتهم المشنوق الذي كيلت له التهم ظلما هو في الحقيقة أبكم.

المتكتم(٦٣)

ألقيت خطابا في النادي

وتلوت قصائد في المقهى

ونقدت السلطة في المطعم

هل تحسب أنا لا نعلم ؟!

.....!

في يوم كذا ..

حاورت مذيعا غربيا

وعرض بتصريح مبهم

لغباوة قائدنا الملهم

هل تحسب أنا لا نعلم ؟!

في يوم كذا ..

جارك سلم

فصرخت به :أي سلام

---

(٦٣) لافتات (١١١/٥) .

وكلانا : يا هذا ، نعش

يتنقل في بلد مأتم

هل تحسب أنا لا نعلم ؟!

هذي أمثلة ..والخافي أعظم

إن ملفك هذا متخم !

هل عندك أقوال أخري ؟

.....!

لا تتكتم

دافع عن نفسك ..أو تعدم !

.....!

لا تتكلم ؟

إفعل ما تهوى ..لجهنم

شنق الأبكم !

وكذلك في قصيدة (الحل)[٦٤] حيث يفاجئنا الشاعر بحل غريب غير متوقع ، ولكنه يمثل استياءه الشديد من واقع الفساد .

الحل

---

(٦٤) لافتات (١٣٦/٢) .

أنا لو كنت رئيسا عربيا
لحللت المشكلة
وأرحت الشعب مما أثقله
أنا لو كنت رئيسا
لدعوت الرؤساء
ولألقيت خطابا موجزا
عما يعاني شعبنا منه
وعن سر العناء
ولقاطعت جميع الأسئلة
وقرأت البسملة
وعليهم وعلي نفسي قذفت القنبلة !

وكذلك في قصيدة صفقة مع الموت حيث يصور الشاعر المفارقة بين مطاردة الموت له في صورة عديدة بينما هو في الحقيقة ميت لا يحس أثر الحياة ولكنه يفاجئنا بهذا الجانب الذي تتضح به المفارقة في نهاية القصيدة بعد أن يرشح له في ثنايا القصيدة بصور عديدة صفقة مع الموت[٦٥]

(٦٥) لافتات (١٦٦/٢) .

أيها الموت انتظر

واصبر علي

فأنا لا وقت للموت لدي

وأنا لا وقت للعيش لدي

إنني بينكما أجهل عمري

إنني منذ الصبا

أجري ، وأجري

ثم أجري ، ثم أجري

وخطي المخبر من خلفي

ومن بين يدي

رحمة الله علي

إنني في وطني ما دمت شيئا

فأنا لست بشيء

وأنا يا موت لا أرغب أن أصبح شيئا

بل أنا أرغب أن أحيا

ليس لي ذرة إحساس

ولا نبضة شعر

غير أني
ليس لي وقت لأمحو شفتي
أو لألغي مقلتي
أو لأرخي قدمي
فخطي المخبر من خلفي
ومن بين يدي
وأنا مازلت أجري ثم أجري ..ثم أجري
لست أدري
أي معنى للمسافات التي
ما بين ميلادي وقبري !
أيها الموت ..عزيزي
لك شكري
انتظر
إني سأدعوك إلي
عندما أشعر يوما
أنني يا موت ..حي !

كذلك في قصيدة عاقية الصراحة يفاجئنا الشاعر في النهاية بـــأن عاقبة الصراحة كانت هي (المعتقل)

عاقبة الصراحة[٦٦]

نجلس في المقهى ونمضي في الجدل
يسأل : هل أنت مع ال ..؟
وأنت ؟ هل ؟
يقول : بل ..
أسأله : هب أنهم ..
يقول لي : علي الأقل ..
أسأله : وما عسى ..؟
يقول : لا أدرى ..لعل ..
وهكذا نسير في جدالنا
وكل من سار على الدرب وصل !
بعد الوصول دائما
نشهده عز وجل
أن لا نقول كلمة صريحة

---

(٦٦) لافتات (٥/١١٤) .

مهما حصل

إذا تركنا المعتقل !

والحقيقة أن عنصر المفاجأة في مفارقات الشاعر مطر يعد من أبـرز سمات المفارقة عنده ، وأمثلته لا تكاد تحصى .

ويدخل في هذا النوع أيضا قصائد اللغز السابقة – حيث تحمـــل عنصر المفاجأة بحل اللغز في آخرها في كثير من الأحيان ولكنـــها تتميز عن مفارقة المفاجأة بما تشتمل عليه من لغز يطرحه الشـــاعر يمثل حقيقة المفارقة في القصيدة .

الإطار السابع

دلالة المفارقة بين نمطية المعنى وتركيبه

ينظر هذا الإطار إلى تنوع المفارقة عند الشاعر أحمد مطر من حيث دلالة ألفاظ المفارقة عنده ، حيث تتنوع المفارقة عنده بحسب دلالة ألفاظها بين ما يمكن أن نسميه بالمفارقة النمطية التي تحدث المفارقة بين الألفاظ مع استخدامها بوضعها اللغوي النمطي المعروف دون أن يضفي عليه الشاعر معاني جديدة خاصة به ، وهذا ما يحدث عند مطر أحيانا في مفارقاته حيث يقوم بتوظيف ألفاظ المفارقات بدلالات عكسية فيحدث من جراء ذلك مفارقة مركبة فمن المعروف أن بين الموت والحياة نوعا من المفارقة النمطية المألوفة ، ولكن حينما يأتي الشاعر فيستخدم الموت بمعنى الحياة ، والحياة بمعنى الموت فقد أتى بما يمكن أن نصطلح عليه بمصطلح المفارقة المركبة [٦٧] وقد سبق الإشارة إلى أحد الأمثلة الجيدة لهذا النوع عند الشاعر ضمن الحديث عن المفارقة اللفظية

---

(٦٧) هذا المصطلح خاصة دون غيره قد تابعت فيه أستاذنا الجليل أ .د/ علي عشري زايد حيث سمى بذلك بعض المفارقات في هذا النوع في كتاب قراءات . ص ٨٠

الجزئية من خلال قصيدته (ثورة الطين)[٦٨] ومن أمثلة هذا النوع أيضا ، قصيدته (وفاة ميت) :

- مات الفتى
- - أي فتى ؟
- - هذا الذي كان يعيش صامتا
- - وكان يدعو صمته أن يصمتا
- - وكان صمت صمته يصمت صمتا خافتا !
- - مات الفتى ؟
- - اليوم .
- - لا ..
- - هذا الفتى عاش ومات ميتا !

نلاحظ من خلال القصيدة أن الميت إنسان كان حيا، ولكن الشاعر سمى هذا الحي ميتا ، وهذه مفارقة في ذاتها ، ثم راح بعد ذلك يعقد مفارقة أخرى بين هذا الميت الذي كان حيا ميتا

---

(٦٨) لافتات ٣٣/١ ، ومن أمثلة هذا النوع أيضا استخدام لفظ (سعيد ومنعم) في قصيدة الله أعلم (٥٨/١) بعكس دلالتها .ومن أمثلته أيضا ما سوف يأتي الحديث عنه في النوع التاسع المفارقة بين الملهاة والمأساة في قصيدة (سيرة ذاتية) ٦/ ٢٠ – ٢٢

وبين وفاته التي هي موت جسدي بعد موت روحه وعقله وكيانه من قبل.

ومن ثم نجد أن لفظ ميت في هذه القصيدة قد وظف بدلالة متراكبة . ولا شك أن عرض المفارقة من خلال هذه الطريقة المستحدثة في التلاعب بدلالات الألفاظ فيه من مفاجأة القارئ وإثارته ، ودعوته لتأمل معنى المفارقة ما فيه .

الإطار الثامن

بين أحادية العرض وثنائيته

من المعروف أن المفارقة إنما تعني بعرض صورتين متناقضتين بغرض إبراز المفارقة بينهما لإشعار القارئ بصورة الخلل أو الفساد وإيقافه عليها بطريقة واضحة ملموسة من خلال التصوير الفني الجيد للجانبين المتناقضين ، هذا هو الأصل في عرض المفارقة .

ولكن شاعرنا قد نجح إلى حد كبير في اختزال عرض أحد هذين الجانبين المتعارضين ، والاكتفاء في كثير من الأحيان بعرض صورة واحدة هي صورة الواقع المتناقض والمفترق مع المثال المستقر في الذهن والضمير .

أي أن الشاعر قد استطاع أن يستثمر ذلك المثال المستقر في الشعور أو اللاشعور الجماعي في إشعار القارئ بالمفارقة من خلال عرض الواقع المضاد بصورة متناقضة تماما لذلك المثال المختزن في الشعور الجماعي ، بما يمكن أن نصطلح عليه بالمفارقة بين المثال والواقع .

وقد مر بنا من خلال عرضنا للأطر السابقة عدد من أمثلة هذا النوع كما في قصيدة (ليس بعد الموت موت)[٦٩]

---

(٦٩) لافتات ٢ / ١٣٧ – ١٤٠

ومن أمثلته التي نعرض لها هنا قصيدة (إشاعات مغرضة)[٧٠] حيث يعرض الشاعر كذلك مفارقة بين المثال المستقر في الذهن للبلاد وبين ما آلت إليه البلاد من كبت الحريات وتكميم الأفواه ، يقول الشاعر :

إشاعات مغرضة

ليت شعري

أي كذاب جبان

يدعى أن بلادي

تكره الصوت وتغتال الأغاني ؟!

ولعمري

من ترى قال بأن الشعر ممنوع

وأن الشاعر الحر يعاني ؟

حاش لله

فمازلت أغني

والحكومات إلى صوتي تصغي

والحكومات تراني

---

(٧٠) لافتات ٢ / ١٠٦ / ١٠٧

وأنا مازلت أحيا رغم هذا
في أمان.
هاكم الآن مثالا :
(يا حبيبي عد لي تاني
أنت عمري أللي ابتدا بنورك صباحه
أنت عمري
خدري .. خدري الشاي خدري
مر ظبي .. وسباني) !
أرأيتم ؟
ها أنا عبرت عن رأيي
وغنيت
.. و لم يقطع لساني !

وقد يأتي العرض الأحادي للمفارقة بطريقة أخرى حيث تعرض الصورتان المفترقتان معا صراحة داخل الجانب الواحد المتناقض داخليا فهو شبيه بالمفارقة التركيبية السابقة ، وذلك كما في قصيدة المزايا والعيوب حيث تجتمع المزايا والعيوب داخل شخص

واحد هو المتقدم لوظيفة (مخبر) مصورة ما يكون عليه من تناقض ومفارقة داخلية يقول مطر :

مزايا وعيوب(*)

نبح الكلب بمسؤول شؤون العاملين :

سيدي إني حزين

هاك .. خذ طالع ملفي .

قذر من تحت رجلي إلى ما فوق كتفي

ليس عندي أي دين .

لاهث في كل حين

بارع في الشم والنبح وعقر الغافلين

بطل في سرعة العدو ،

خبير في اقتفاء الهاربين .

فلماذا يا ترى لم يقبلوني

في صفوف المخبرين ؟!

هتف : المسؤول : لكن

فيك عيبان يسيئان إليهم

(*) لافتات (١٣/٥) .

أنت يا هذا ...وفي وأمين

تعد هذه القصيدة مثالا واضحا علي اعتماد أسلوب المفارقة والتقابل الفني ركيزة أساسية في البناء الفني للقصيدة عند الشاعر أحمد مطر .

ويبدو توظيف التقابل والطباق حسب اصطلاح البلاغيين واضحا في هذه القصيدة من عنوانها (مزايا وعيوب) حيث تبدو القصيدة من عنوانها وكأنها من نوع المفارقة التقليدية أو التقريرية الواضحة. غير أن الشاعر ينجح في هذه القصيدة في أن يضفي عليها نوعا من الحبكة الدرامية التي تصور هذا المتقدم إلى هذه الوظيفة ، وقد اجتهد في عرض كل مؤهلاته التي تؤهله للقبول بها غير أن طلبه يبوء بالفشل ، وتبدو هذه اللحظة وكأنها عقدة فنية لقصة قصيرة، لينتقل بنا الشاعر إلى اللحظة التنويرية الكاشفة وما هي في الحقيقة إلا مفارقة كبرى يحل بها الشاعر لغز المفارقة السابقة . وإذا كان أغلب التقابل يأتي لإبراز التناقض والمفارقة بين نقيضين فإن التقابل قد وظف في هذه القصيدة للكشف عن التناقض والمفارقة في الجانب الواحد . فالملاحظ أن المزايا والعيوب ليست في جهتين متقابلتين ، بل إنهما يقعان معا وصفا لشيء واحد فهما في الحقيقة

شيء واحد ووجهان لعملة واحدة ، فالوفاء والأمانة ميزتان ولكنها في الوقت نفسه عند المسئولين يعدان عيبا خطيرا يرد به هذا المتقدم ، ويدفع به عن هذه الوظيفة .

وهنا يظهر التناقض وتظهر المفارقة العظيمة في كون الوفاء والأمانة جريمتين عظيمتين يعاقب بهما المرء بينما هما في حقيقة الأمر فضيلتان وخصلتان عظيمتان من خصال الخير.

ويقوم البناء الفني لهذه القصيدة علي التقابل من أولها إلى آخرها بالتكنيك السابق نفسه الذي كشفنا عنه في المفارقات المحبوكة السابقة ، ذلك التكنيك اتخذه الشاعر منهجا في سائر قصائده ، فالشاعر يبدأ القصيدة بالتناقض والتقابل الذي يأخذ في تعميقه شيئا فشيئا حتى يزداد ويستحكم ، ثم يختم القصيدة بمفارقة كبرى كاشفة أو منورة.

فالمتقدم للوظيفة المحتج علي عدم قبوله (كلب) بكل ما تحمله تلك اللفظة من دلالات التهجين والتقبيح.

وإذا كان المفترض في المتقدم لوظيفة ما أن يتصف بصفات النظافة والتدين والعفة .. إلخ ؛ فإن هذا الكلب المتقدم لهذه الوظيفة متجرد من ذلك كله فهو كما قال :

قذر من تحت رجلي إلى ما فوق كتفي

ليس عندي أي دين .. إلخ

وإذا كان ذلك كله مثار العجب من هـذا التنـاقض والمفارقـة الواضحة فإن هذه المفارقة تبلغ مداها حينما يتضح أن سبب رفضه وعدم قبوله في صفوف المخبرين ، هو أن فيه عيبين يسيئان إليهم ، وهما أنه وفي وأمين .

ورغم أن هذه مفارقة عظمى ، إذ كيف يعد الوفاء والأمانة مـن العيوب ؟ وكيف يرد المرء بهما ؟

رغم ذلك فإن هذه المفارقة تأتي كاشفة لحقيقة الفساد في تلـك الأجهزة التي لا يريد لها المسؤلون إلا أن تكون حاميـة للفسـاد والشر في البلاد.

وتعد هذه القصيدة بذلك من نوع المفارقة بين المثال والواقع حيث يعتمد الشاعر علي المثال المختزن في الذهن للعامل في الدولة مـن كونه وفيا أمينا ، ومن ثم تبدو المفارقة من جهة كون الجـهات المسئولة لا ترغب في هذا المتقدم لتلك الوظيفة لكونه وفيا أمينا

الإطار التاسع

المفارقة بين التقريرية والتصويرية

تتنوع المفارقات عند شاعرنا بين التقريرية المباشرة ، وهـــي النموذج النمطي أو القاعدة الخالية من العدول الأسلوبي(*) وذلـك كما نراه في قصيدته .

مسألة مبدأ

قال لزوجه : اسكتي .

وقال لابنه : انكتم .

صوتكما يجعلني مشوش التفكير .

لا تنبسا بكلمة .

أريد أن أكتب عن

حرية التعبير !

حيث تأتي المفارقة صريحة واضحة مكشوفة بلغة تقريرية مباشرة :

اسكتي – انكتم – أريد أن أكتب عن حرية التعبير !!

(*) انظر فصلا في تعريف العدول الأسلوبي في رسالتي للدكتوراة: التوظيـــف البلاغـــي لصيغة الكلمة دراسة نظرية تطبيقية، مخطوط بدار العلوم ومطبـــوع باســـم (الإعجـــاز الصرفي في القرآن الكريم) ط. المكتبة العصرية-بيروت.

وتختلف هذه المفارقة عن المفارقة التصويرية لدى الشاعر حيث يعمد إلى استخدام الصورة الفنية أيا كان نوعها بصورها القديمة أو الحديثة ، وذلك كما في قصيدته : **هات العدل**[٧١]:

ادع إلى دينك بالحسنى
ودع الباقي للديان
أما الحكم ..فأمر ثان
أمر بالعدل تعادله
لا بالعمة والقفطان
توقن أم لا توقن ..لا يعنيني
من يدريني
أن لسانك يلهج باسم الله
وقلبك يرقص للشيطان !
أوجز لي مضمون العدل .
ولا تفلقني بالعنوان .

---

(٧١) لافتات (٥/٥١) .

نلمح هنا المفارقة التصويرية على سبيل المثال بين (لسانك يلـــهج باسم الله ، وقلبك يرقص للشيطان) حيث يدخل عنصر التصويـــر الناتج عن تشخيص القلب في صورة الراقص

وفي كثير من الأحيان يخرج الشاعر عن الصـــــورة التقليديـــة في صورها المعروفة (التشبية الاستعارة – الكناية ..الخ)

ليشكل صورته بأدواته الخاصة وذلك كما في قصيدة **لفت نظر**[٧٢] :

السلطان

لا يمكن أن يفهم طوعا

أنك مجروح الوجدان . بل لا يفهم ما الوجدان .

السلطان مصاب دوما

بالنسيان وبالنسوان .

مشغول حتى فخذيه .

لا فرصة للفهم لديه .

ولكي يفهم .

ينجح الشاعر في رسم صورة للحاكم الغارق في شهواته وملذاتـــه بألفاظه السهلة الموحية والتي تتضافر فيما بينها لتشكل صورة هـــذا

---

(٧٢) لافتات (٤/٧٨) .

الغارق في سبات الشهوات ، فما بين مسعف له بالتبيان ، وقارص من أذنيه ، ومعلق له من رجليه ، وماد أصابعه العشرة في عينيه ..إلخ .

صورة خيالية تشكيلية توضح إلى أي حد قد غرق هذا الحاكم في سباب شهواته العميق .

والحق أن أول من لفت الأنظار لهذا النوع من المفارقة فيما نعلم هو أستاذنا الجليل الدكتور على عشري زايد .

فقد تحدث الدكتور على عشري عما أسماه"المفارقة التصويرية " فقال : المفارقة التصويرية تكنيك يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض، وعلى الرغم من أن شعرنا القديم قد عرف صورا من المفارقة التصويرية ، وفطن إلى الدور الذي تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في تجلية معنى كل منهما في أكمل صورة فإن النقد العربي والبلاغة العربية كليهما لم يهتما بهذا التكنيك الفني ، وإن كانت البلاغة قد عنيت بلون من التصوير البديعي القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت اسم الطباق في صورته البسيطة ، والمقابلة في صورته المركبة ولكن "المفارقة التصويرية "

تكنيك مختلف تماما عن الطباق والمقابلة ، سواء من ناحية بنائها الفني ، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية ، وذلك لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ..والتناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف ، والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل ، أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق في واقعة الاختلاف (٧٣)

(٧٣) عن بناء القصيدة ص١٣٥ .

الإطار العاشر

المفارقة بين الملهاة والمأساة

يتناول الشاعر مفارقاته كثيرا من جروح المجتمع ومآسيه التي تبعث على الحزن والأسى ، وقد يقف باكيا دامعا في بعض تلك المفارقات وذلك كما في قصيدة (اللغز)(٧٤) وكما في قصيدة (سيرة ذاتية)(٧٥) وقد يحول تلك المفارقة المأساوية الباعثة على الأسى والحزن إلى ملهاة ساخرة تبعث على الضحك الشديد ، أو يتمالك المرء آنذاك شعوران متعارضان بالرغبة في الضحك والبكاء في آن، غير أن الصياغة ذات الطبيعة الساخرة تغلب غالبا رغبة الضحك ، فيضحك المرء ضحكة تخفي داخلها أسي وحزنا دفينا غير أنه مغلوب على الضحك بلغة الشاعر اللاهية الساخرة .

وهذا النوع الأخير يمثله الجانب الأكبر من المفارقات لدى الشاعر ؛ ولذلك فإن أمثلته لديه كثيرة متنوعة ، ويبدو أن هذا النوع هو الغالب على المفارقات عموما حتى إن بعض الباحثين قد عرف المفارقة بأنها نوع من التهكم أو السخرية في مفهوم المفارقة،

---

(٧٤) لافتات ١/ ٢٢- ٢٣

(٧٥) لافتات ٦/ ٢٠- ٢٢

حيث ترجم الكثيرون Irony بالمفارقة على الرغم من أن المفارقة أعم من التهكم والسخرية ، وفي إطار المفهوم الأدبي للمفارقة نقول إنه ليس كل تهكم وسخرية مفارقة ؛ بمعنى أن التهكم الذي لا يقوم على إبراز التناقض بين طرفين تهكم لا يتصل بالمفارقة وأن المفارقة التي لا تتصل بالسخرية – ظاهرة أو باطنة – ليست تهكما..

لكننا رغم ذلك نستطيع أن نلمح في كثير من صور التهكم نوعا خفيا من المفارقة ، كما نستطيع أن نلمح في كثير من صور المفارقة نوعا خفيا من التهكم ؛ ومن هنا فإن علينا أن نوسع من نظرتنا للمفارقة على أساس أنها تضم ص . ا قد يكون من التعسف أن نحصرها في إطار التهكم والسخرية (٧٦)

وتعرف المفارقة بأنها استراتيجية قول نقدي ساخر ...وقد نقول إن المفارقة هي استراتيجية اللامبالاة وخيبة الأمل ، ولكنها – في الوقت نفسه – تنطوي على جانب إيجابي ، فقد ينظر إليها على أنها سلاح هجومي فعال .

وهذا السلاح هو الضحك . ولكنه ليس الضحك الذي يتولد عن الكوميديا ، بل الضحك . الذي يتولد عن التوتر الحاد

(٧٦) د/ حسني عبد الجليل / المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادى ص١٤-١٥

والضغط الذي لا بد أن ينفجر ..وتتميز المفارقة بالغموض الـذي يكتنف القول ، وكذلك بالإحساس الغريب الذي يولده اشتمالها على عناصر متعارضة وتكمن الطبيعة الإشكالية في حـل دلالـة المفارقة في هذا النوع من الغموض [٧٧]

وهذا الضحك الذي يتولد عن التوتر الحاد ، والضغـط الذي لا بد أن ينفجر هو ما نلمحه في أغلب المفارقات عند مطـر

.

نماذج مفارقة المأساة :

اللغز[٧٨]

قالت أمي مره
يا أولادي .
من منكم يكشف لي سره ؟
(تابوت قشرته حلوى
ساكنه خشب ..
والقشره
زاد للرائح والغادي)

---

(٧٧) فصول ٢/ ٢/ ١٤٣/ ١٤٤

(٧٨) لافتات (٢٢/١) .

قالت أختي : التمرة
خضنتها أمي ضاحكة
لكني خنقتني العبره
قلت لها بل تلك بلادي !

في هذه القصيدة تبدو المفارقة واضحة بين الموقف العـــام الغافل عما تعانيه البلاد من ظلم واستبداد وموقف الشاعر الـــذي يرى صورة بلاده وما ينالها من ظلم واضطهاد في كل رمز حوله ، فيملأ ذلك قلبه أسى وحزنا .

وعلى هذا النحو يمضي الشاعر كذلك في قصيدة (**ســيرة ذاتية**)[٧٩]:

(١)
نملة بي تحتمي
تحت نعلي ترتمي
أمنت ..
منذ سنين
لم أحرك قدمي !

---

(٧٩) لافتات (٦/٢٠) .

(٢)

لست عبدا لسوى ربي ..

وربي : حاكمي !

(٣)

كي أسيغ الواقع المر

أحليه بشيء

من عصير العلقم !

(٤)

منذ أن فر زفيري

معربا عن ألمي

لم أذق طعم فمي !

(٥)

أخذتني سنة من يقظة ..

في حلمي أهدر الوالي دمي !

(٦)

جالس في مأتمي .

أتمني أن أعزيني

وأخشى
أن يظنوا أنني لي أنتمي !

(٧)

عربي أنا في الجوهر
لكن مظهري
يحمل شكل الآدمي !

تمتلئ القصيدة بصور من المفارقات بين الواقع والمثال الذي يحن إليه الشاعر ، وتمتلئ هذه المفارقات بالصور الحزينة التي تقطر مرارة وأسى فالواقع مر ، ولكي يسيغه الشاعر يحليه بعصير العلقم، والشاعر لا يستطيع أن يذوق طعم فمه،ولا أن يعزي نفسه عما يجد لئلا يتهم بالانتماء إلى الحق ، ثم يختم القصيدة بمفارقة باكية ساخرة فهو في جوهره عربي ولكن مظهره يحمل شكل الآدمي .

ومن ثم فهي نوع من المفارقة ذات المعاني المركبة فهو يضع العربي في مقابل الآدمي ، وكأنه يستخدم لفظ العربي بدلالة مركبة تحمل على اللفظ معنى الضعة والهوان والدونية التي تجعله مساويا للفظ (حيوان) .

ومن ثم فهي مفارقة ساخرة باكية في آن واحد ولذا يقرر البعض"

" أن المفارقة لا ينبغي أن تختلط بالسخرية ، كما لا ينبعي أن تفهم على أنها الذاتية غير المسئولة ، إنها تمثل قمة الإبداع الإنساني ، إذ فيها يتحد الخاص والعام ، والنسبى والكلي ، وفيها تجتمع الأضداد والمتناقضات ، وتتماسك لتتصارع ، ثم لا تلبث أن تتصالح في هدوء ،إذ يملك أحد الأطراف المنطق المشروع على الدوام الذي يجعله يتغلب على الطرف الآخر [٨٠]

(نماذج المفارقة الساخرة) :

نماذج المفارقة الساخرة هي الأكثر شيوعا لدي الشاعر ومن أمثلتها قصيدة (صفت النية)[*]

صفت النية يا لبنان
صفت النية .
لم نهملك ..ولكن كنا
مختلفين على تحديد الميزانية :
كم نحتاج من التصفيق
..ومن الرقصات الشرقية ؟
ما مقدار جفاف الريق

---

(٨٠) هربرت ماركيوز ، العقل والثورة ص٧

(*) لافتات (٣/٤٥) .

في التصريحات الثورية ؟

وتداولنا في أوراقك

حتى أذبلها التوريق !

الحمد لله ..صفت النية

لم يفضل غير التصديق

وسندرسه

في ضوء تقارير الوضع بموزمبيق!

صفت النية

فتهانينا يا لبنان

جامعة الدول العربية

تهديك سلاما وتحية

تهديك كتيبة ألحان

ومبادرة ..أمريكية !

القصيدة قائمة في أساسها على المفارقة الساخرة ، والسخرية فيها موظفة توظيفا مقصودا لذاته ، فالمقصود هو السخرية من تلك المساعى الخداعة المتلكئة .

الخاتمة

لقد حاول البحث أن يرصد أهم صور وأنماط المفارقة في شعر أحمد مطر، وغني عن البيان والذكر أن ندعى أن البحث قد استوعب جميع صور المفارقة وأنماطها الفنية في الشعر المعاصر أو في الشعر العربي عامة، فلم يكن هذا موضوع البحث، ولا يجوز لنا أن نقع في خطأ التعميم فنعمم نتائج هذا البحث الجزئي على باقي النماذج الشعرية التي اعتمدت هذا الفن سواء في الشعر العربي القديم أو الحديث والمعاصر.

ولذا فإننا نقول: إن هذا البحث يفتح الطريق لدراسات جديدة واسعة النطاق لعدد من الشعراء القدامى والمحدثين، ولاشك أن تلك الدراسات سوف تقف على أنماط عديدة لفن المفارقة قد تتفق أو تختلف مع بعض ما وقفنا عليه من أنماط المفارقة عند مطر، ونأمل أن نوفق في القريب إلى إتباع هذه الدراسة بدراسات مماثلة لعدد من الشعراء الذين أثروا الحياة الأدبية في شعرنا الحديث والمعاصر، والله الموفق لا رب سواه.

المؤلف

فهرس قصائد البحث

عنوان القصيدة	الصفحة
-الصدى	٢٠
-إنجيل بولس	٢١
-ثورة الطين	٢٢
-إن الإنسان لفي خسر	٢٥
-أصفار	٢٧
-همة	٢٩
-مسألة مبدأ	٣٠، ١٢٥
-حوار على باب المنفى	٣١
-خطاب تاريخي	٣٥
-الوصايا	٣٧
-شؤون داخلية	٤٤
-يا ليل يا عين	٤٧
-أمل أخير	٥٠

-عجائب ٥١
-ليس بعد الموت موت ٥٥
-قلم ٦٠
-وظيفة قلم ٦٣
-عدالة ٦٥
-جواز ٦٨
-القبض على مجنون ميت ٧٠
-إلى من يهمه الأمر ٧٧
-مدخل ٨٢
-صدمة ٨٣
-إشاعات مغرضة ٨٧،١١٩
-اللغز ٩٤،١٣٢
-فوق العادة ٩٥
-تمرد ٩٧
-وحملوها.. وطارت في الهوا الإبل ١٠٠
-ثورة الطين ١٠٢
-يمدح شاعرا ١٠٤

-تقويم إجمالي	١٠٦
-المتكلم	١٠٨
-الحل	١٠٩
-صفقة مع الموت	١١٠
-عاقبة الصراحة	١١٣
-وفاة ميت	١١٦
-مزايا وعيوب	١٢١
-هات العدل	١٢٦
-لفت نظر	١٢٧
-سيرة ذاتية	١٣٣
-صفت النية	١٣٦

مصادر البحث

- بناء القصيدة العربية الحديثة د.علي عشري زايد مكتبة دار العلوم ١٩٧٩م.
- التبيان في المعاني والبيان للطيبي-تحقيق د/عبدالحميد هنداوي-ط١-المكتبة التجارية-مكة.
- الطيبي وجهوده البلاغية د.عبد الحميد هنداوي المكتبة التجارية-مكة.
- علم البديع وفن الفصاحة-الطيبي-تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي-المكتبة التجارية-مكة.
- قراءات في الشعر العربي المعاصر د.علي عشري زايد-دار الفكر العربي.
- لسان العرب لابن منظور ط.دار المعارف.
- لافتات أحمد مطر. بيت الحكمة-القاهرة.
- المفارقة د.نبيلة إبراهيم-مجلة فصول إبريل ١٩٨٧م.
- المفارقة في شعر عدي بن زيد العبادي د.حسني عبدالجليل يوسف ط أولى ٢٠٠١ الدار الثقافية.
- مقدمة في الفلسفة العامة د.يحيى هويدي-دار الثقافة-مصر.

كتب للمؤلف

في علوم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

اسم الكتاب	نوعه
أسرار البلاغة للجرجاني	تحقيق
أضواء على مسيرة البلاغة العربية	تأليف
الأدب المقارن: المفهوم والقيمة	تأليف
الأطول على التلخيص	تحقيق
الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم	تأليف
الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم	تحت الطبع
الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني	تحقيق
بلاغات النساء لابن طيفور	تحقيق ودراسة
البلاغة بين النظرية والتطبيق	تأليف
التبيان في المعاني والبيان للطيبي	تحقيق
التكرار الصيغي في الشعر العربي المعاصر	تحت الطبع

التكرار في الدراسات الأسلوبية الحديثة	بحث بصحيفة دار العلوم
التلخيص في علوم البلاغة للقزوينى	تحقيق ودراسة
التوظيف البلاغى لصيغة الكلمة دراسات نظرية تطبيقية	تأليف
الخصائص لابن جني	تحقيق
دلائل الإعجاز للجرجانى	تحقيق
الدلالة الفنية للأصوات	بحث
رسالة الأدب المقارن	بحث بصحيفة دار العلوم
سلسلة دراسات أسلوبية فى القرآن الكريم	تحت الطبع
شرح الدسوقى على التلخيص	تحقيق ودراسة
شرح السعد على تلخيص المفتاح	تحقيق ودراسة
شروح التبيان فى المعانى والبيان للطيبى وتلميذه على بن عيسى	تحقيق ودراسة
الطراز للعلوى	تحقيق
العمدة لابن رشيق	تحقيق

عروس الأفراح شرح وتلخيص المفتاح للسبكى في علوم البلاغة	تحقيق ودراسة
علم البديع وفن الفصاحة للطيبى	تحقيق
عنوان المرقصات المطربات لابن سعيد الأندلسى	تحقيق
معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدى	تحقيق ودراسة
الكاشف عن حقائق السنن وهو شرح بلاغى لمشكاة المصابيح للطيبى ١٣ مجلدا	تحقيق
الكامل فى اللغة والأدب للمبرد	تحقيق
كيف تقرأ العمل الأدبى ؟	تحت الطبع
لطائف التبيان في المعانى والبيان للطيبي	تحقيق ودراسة
المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده	تحقيق ودراسة
المرقصات المطربات لابن سعيد الأندلسى	تحقيق
مجموعة شروح التلخيص في علوم البلاغة	تحقيق ودراسة

مرآة المروآت للثعالبى	تحقيق
المطول على التلخيص	تحقيق
معالم على طريق النقد الأدبى	تأليف
من بلاغة الكتاب والسنة وهو الإمام الطبي وتجديداته البلاغية	تأليف
مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى	تحقيق ودراسة
وجوه البلاغة فى متشابه القرآن	تحت الطبع

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
-بين يدي البحث	٣-٥
-مفهوم المفارقة	٦
-المفارقة لغة	٦
-المفارقة اصطلاحا	٦
-المفارقة وجذورها التراثية	٨
-المفارقات في شعر أحمد مطر	١٤
-الوسيلة والغاية	١٤
-أنماط المفارقة الفنية عند الشاعر أحمد مطر	١٨
-الإطار الأول :	
-بين اللفظية والمعنوية	١٩
-النوع الأول: المفارقة اللفظية الكلية	٢٠
-النوع الثاني : المفارقة اللفظية الجزئية	٢٢
-النوع الثالث: المفارقة اللفظية العارضة	٢٥

-المفارقة المعنوية ٢٨
-الإطار الثاني :
-المفارقة بين الجوهرية والعرضية ٢٩
-المفارقة الجوهرية ٢٩
-المفارقة المعنوية العرضية ٣١
-الإطار الثالث :
-بين وجازة العرض والإطناب فيه ٣٤
-التكرار لأنواع المفارقات المتجانسة ٣٤
-إجمال المفارقة ثم تفصيل صورها بعد ذلك ٣٤
-عرض المفارقة من خلال حبكة فنية ٣٤
-إخفاء المفارقة والتمويه على القارئ في عرضها حتى يفجأه بها ٣٤
-المفارقة القصيرة ٣٤
-الإطار الرابع :
-بين الوحدة والتكرارية، أو الإجمال والتفصيل ٣٧
-الإطار الخامس :
-بين السذاجة والحبكة ٦٠
-الإطار السادس :

-بين المباشرة والمخادعة ٧٦
-المفارقة المباشرة أو المنكشفة ٧٧
-المفارقة الخداعة ٨٥
-الإثبات بطريقة النفي ٨٦
-الجمع بين التقريرية والمخادعة ٩٠
-المفارقة الرمزية ٩٣
-التورية الحقيقية ١٠١
-مفارقة المفاجأة ١٠٤
-الإطار السابع :
-دلالة المفارقة بين نمطية المعنى وتركيبه ١١٥
-الإطار الثامن :
-بين أحادية العرض وثنائيته ١١٨
-الإطار التاسع :
-المفارقة بين التقريرية والتصويرية ١٢٥
-الإطار العاشر :
-المفارقة بين الملهاة والمأساة ١٣٠
-الخاتمة ١٣٨